13 me Année No. 602

Lundi - 15 - 1 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

٨٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٦٠٢ « القاهرة فى يوم الإثنين ١ صفر سنة ١٣٦٤ — الموافق ١٥ يناير سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

الفهـــرس

الدين فى معترك الشكوك

للأستاذ محمد فريد وجدى بك

حفظ الدين وجوده فى العصور الأولى للانسانية بالعزيزة الطبيعية ، فلم يجد العلماء فى تاريخها كله جماعة مجردة من الدين حتى فيما نقبوا عليه من عهودها الأولى قبل تدوين التاريخ

ولما أجال الإنسان فكره فى الوجود المحيط به ، ونشأت فيه خاصة النظر والاستدلال ، أيد الإنسان دينه بالعقل .

ولما استبحر علم الكون ، وافتتن العقل بالبحوث المادية تحت تأثير سحر المكتشفات الطبيعية فى عالم القوى والنواميس ، ووضع الدستور العلمى وظهرت آثاره فى ترقى المعارف ، وتجنب الأخطاء التى كان دليلها مجرد النظر العقلى ، لم يعد للمنطق سلطان على الإنسان ، وأصبح الدين لا يستطيع البقاء ، إلا إذا كان له دليل من الوجود المحسوس . وصرح علماء القرنين الثامن عشر والتاسع عشر بأن عهد الدين قد انقضى ، وأن بقاءه على الأرض مرتبط ببقاء السذاجة العامية ؛ فاذا نشر العلم على العامة رواقه زال الدين كما يزول كل ما ليس له أصل ثابت يقوم عليه

على هذا كان الإجماع منعقدا فى العالم العلمى إلى زمان ليس ببعيد . فهل العقل لا يكفى لايجاد الإيمان فى العهد الذى نحن فيه ؟

يكفى إذا كان يستمد مسلماته من العلم الكونى المحسوس، أما والعقل الذى يعتمد عليه الاعتقاديون يقوم على مسلمات لا تزال فى نظر العلم مسائل تعوزها الحلول ، كنشوء الكون والمادة ، وكوجود روح من عالم علوى فى الانسان تبقى بعد انحلال جثمانه فى عالم وراء هذا العالم الخ الخ ؛ فما يقرره الاعتقاديون اعتمادا على أمثال هذه المسلمات لا يراه العلم جديرا بالاعتبار

ومعنى هذا أن الاعتقاديين فى هذا العصر قد أصبحوا عزلا من الأسلحة التى تصلح للكفاح فى هذا المعترك . فاذا لم يستكملوا هذا النقص فلا يرجى للموضوع الذى هم بسبيله بقاء

وقد بين ذلك الاستاذ « و . ميرس » مدرس علم النفس بجامعة كمبردج فى كتابه « الشخصية الإنسانية » فقال .

« كنت مقتنعا بانه لو أمكنت معرفة شىء عن العالم الروحى على أسلوب يستطيع العلم أن يقبله ، ولن يكون ذلك بالتنقيب فى الأساطير القديمة ، ولا بالتأمل فى علم ما بعد الطبيعة ، ولكن بواسطة التجربة والمشاهدة ، وبتطبيقنا على الظواهر التى تشاهد أساليب الباحث المضبوطة ، تلك الأساليب التى نحن مدينون لها بمعارفنا عن العالم المرئى المحسوس . هذه المباحث لا يجوز أن تبنى على التأكيدات التى صدرت عن هذا الوحى أو ذاك ، بل يجب أن تؤسس ككل بحث علمى بمعناه الصحيح ، على تجارب يمكننا تكرارها اليوم ؛ مؤملين أن نزيد عليها غدا ، ويكون الدافع إليها هذه القضية وهى : « إذا كان يوجد عالم روحانى ظهر للناس فى أى عهد كان ، فيجب أن يكون كذلك قابلا للظهور فى أيامنا هذه » ا هـ

ونحن نقول : هذا شرط العلم فى قبول الأصول الاعتقادية ، وهو شرط لا يجوز الاستخفاف به ولا إغفاله ، لأن العلم آخذ فى الانتشار بخطوات واسعة ؛ وأساليبه المحررة ، وآثاره الفاتنة ، أثرت فى العقول أبلغ تأثير ، وانتشرت بمعها شبهات لم تدع محلا للعقيدة فى العقول ، وضعفت حجة الاعتقاديين أمام هذا التحدى ضعفا ظهرت نتائجه فى الجماعات ، وخاصة فى البلاد الشرقية ، حيث ينتشر العلم ، ويصر حفظة الدين على التغاضى عما يستتبعه هذا الانتشار من شيوع ما يلابسه من الشبهات . وقد ظهرت لذلك آثار خلقية وأدبية لا يحسن السكوت عليها .

ولم هذا التعرض لكل هذه المخاطر؟ فإذا كنا ننتظر خلاصا منها باعتمادنا على أساليبنا القديمة ، فقد دلت دلالة قاطعة على أنها منيت بالعجز عن وقف هذا التدهور السريع ، فإذا كنا نتشبه بالغربيين فى جميع أوضاعهم واتجاهاتهم ، فلم نقصر فى تقليدهم فى وقف تيار هذا الانقلاب الخطير ؟

إن العلم الأوروبى يشتغل من نحو مائة سنة بمسألة الحياة الإنسانية على أسلوبه من التجربة والتمحيص ، وقد اهتدى إلى نتائج كانت غير منتظرة أثارت دهش العالم ، كانت مثاراً لحركة لم تحدث لاكتشاف قبلها ، فاجتمعت لها مجامع علمية للدرس والتحقيق ، وتألفت من أجلها مؤتمرات عامة فى أوروبا وأمريكا اجتمع فيها ألوف من الباحثين ، وثارت بسببها مناقشات صحفية لم تثر لغيرها من المسائل العلمية ، حتى وصل قادتها إلى نتائج فاقت كل ما كان يتخيله كبار العقول قبل هذا العهد القريب ، إذ ثبت للباحثين فيها ثبوتا علميا قاطعا لا يتطرق إليه ريب لابتنائه على التجارب العلمية ، أن للانسان روحا مستقلة عن جسده استقلالا تاما ، مما حمل العلماء المجربين أن يقولوا كما قال أحدهم وهو العلامة الفلكى المشهور « كاميل فلامريون » فى كتابه « المجهول والمسائل النفسية » :

« إن لدينا اليوم من الادلة على وجود عالم الروح مثل ما لدينا منها على وجود العالم المادى المحسوس » .

اكتشاف خطير فى عالم البحوث العلمية يدهش منه حتى الذين يعتقدون بوجود الروح ، وهو غير اكتشافات أخرى يثبت مجموعها وجود عالم روحانى وراء هذا العالم لا يمكن التمارى فيه وقد بذل أقطاب العلم فى جميع أقطار العالم المتمدن ردحا طويلا من الزمن فى تمحيصها وتحليلها ، وانفق أثرياؤهم أموالا وفيرة لإقامة معاهد تجريبية لها ، منها المجمع العلمى لما وراء علم النفس وقد شيد بناءه الثرى الفرنسى المسيو «ميبه» ووقف عليه اربعة ملايين فرنك ذهبا تنفق فى كل عام ، وكان ذلك سنة ١٩٢٠ وشرط ألا ينخرط فى جماعته إلا العلماء .

وفى الولايات المتحدة وألمانيا وايطاليا والنمسا وغيرها أمثال لهذا المجمع ؛ ومنها جمعية البحوث النفسية فى لندن ، وقد تألفت فى سنة « ١٨٨٢ » ولا تزال قائمة للآن ، يزاول العمل فيها علماء

من الطبقة العليا ، وقد جمعت مما تقرر من تجاربها نحو ستين مجلدا ولا تزال قائمة إلى اليوم .

ذكر هذه الجمعية الأستاذ الكبير وليم جيمس الأمريكي في كتابه « إرادة الاعتقاد » La volonté da cro:re في صفحة ٣١٣ فقال :

« إن جمعية المباحث النفسية التي عقد عملها في انجلترا وأمريكا قد سمحت بأن يلتقي العالمان العلمي والروحي، فاذا صدقنا الجرائد وأوهام الصالونات ، خيل إلينا أن الضعف العقلي وسرعة التصديق هما الرباط المعنوي الجامع بين أعضاء هذه الجمعية ، وأن حب العجائب هو الأصل المحرك لها ، ومع ذلك فيكفي أن نلقي نظرة واحدة على أعضائها لدحض هذه التهمة . فان رئيس هذه الجمعية وهو الأستاذ (سيد جويك) معروف بأنه أشد الناس شكيمة في النقد ، وأعصامهم قيادا في الشك بجميع البلاد الانجليزية ، ووكيلها الأستاذين «أرثر بلفور» و«ج.ب. لنجلي» ويمكن التنويه من أعضائها العاملين بالأستاذ « شارل ريشيه » الفيزيولوجي الفرنسي الخطير ، وتشمل قائمة أعضائها رجالا كثيرين آخرين كفايتهم العلمية أشهر من نار على علم . فاذا طلب إلي أن أعين مجموعة علمية تكون مصادر أخطائها ممحصة بأدق الأساليب ، فاني أنوه بمحاضر جمعية المباحث النفسية ، فان الفصول الفيزيولوجية التي تنشرها المجلات الخاصة بهذا العلم لا تبلغ في دقة النقد مبلغ دقة المحاضر التي نحن بسبيلها » اه

فهذه المجامع العلمية التي تألفت من أكبر رجال العلم في أرقى البلاد المتمدنة ، واجتمعت بسببها مؤتمرات عالية في أكبر عواصم العالم احتشد فيها الوف من الباحثين المستقلين ، ووضع فيها مئات من العلماء كتبا مستفيضة ، قد أثرت في العالم الغربي أكبر تأثير كان من أثره تغيير وجهة الفلسفة في القرن العشرين حتى نوهت مجلة المقتطف بذلك في عدد شهر ديسمبر من سنة ١٩١٨ فقالت :

« من يطلع على ما يكتب وما ينشر من المقالات الفلسفية يجد أن أصحابها مالوا عن الطريقة العلمية إلى الطريقة الروحية .. إلى أن قالت : « ومما يدعو إلى الأسف أن أكثر اهتمام الناس كان موجها في السنوات الأخيرة إلى هذا القسم من الفلسفة كما يظهر مما نشرناه من أقوال السير «أوليفر» وأضرابه من المتقدين بمناجاة الأرواح والتلباثي وما أشبه » .

نقول والأمر الذي جعل هذه البحوث جديرة بالنظر والتمحيص أن الجمعية الجدلية في لندن كلفت ثلاثة وثلاثين عالما من أجل أعضائها ببحثها ووضع تقرير عنها ، فقامت بما عهد إليها وكان ذلك في سنة ١٨٦٩ ، ولبثت تعمل ثمانية عشر شهراً بأدلة أقصى ما يتيحه لها العلم من طرق التمحيص والتحقيق ، ثم وضعت عنها تقريراً وقع في خمسمائة صفحة ، اعترفت فيه إجماعا بصحتها . فكان ذلك مغريا للعلماء في كل بلد ببذل الوسع في دراستها ، وانتهى الأمر بهم جميعاً إلى القول بأنها حقيقة لا مرية فيها .

ولما آنست الكنيسة الانجليزية شدة اهتمام الناس بها ألفت مؤتمراً دينياً لأبداء رأي الكنيسة فيها . وقد نشرت خلاصة رأيها المجلات المشهورة ، فكان مما قالته عنها المجلة المالية بقلم مديرها الفيلسوف الكبير « جان فينو » فقال :

« في مؤتمر الأساقفة الانجليكانية الذي عقد في قصر (لامبيث) من ٥ يوليو إلى ٧ اغسطس من سنة ١٩٢٠ ، اجتمع مائتان واثنان وخمسون من رؤساء الكنيسة ، منهم مطارنة كنتربوري ويورك وسدني وكيتاون والهند الغربية وميلبورن وإمارة بلاد الغال الخ ، هؤلاء عدا أكثر من مائة أسقف من أكبر الأساقفة ، وتقرر النظر في أمر الاسبرتسم والعلم المسيحي والتيوزوفية ، فاعترف المؤتمرون بقيمة هذه الميول الروحانية التي تكافح المادية بنجاح عظيم » .

* * *

هذه خلاصة ما حدث حول هذه المسألة في البلاد المتمدنة وقد سماها مدير المجلة المالية بالفيض الألهي ، وقد تسرب إلى الجامعات الكبيرة ، فأسست له جامعة كمبردج في سنة ١٩٤٠ دراسة خاصة ، واتخذت جامعة اكسفورد لأمهات مؤلفاته علاً خاصا بها ، وعينت لمحاضراته عالما خبيرا به ، وأدخلته إلى حظيرتها العلمية جامعات أخرى في أمريكا ، فهل ننفض نحن الطرف عنه ولا يستفيد منه حفظة العقائد ليصدوا به تيار المادية التي تتسرب إلى عقول الناشئة ، وتقذف بهم من الاباحة إلى مكان سحيق؟ لقد أدخلنا الفلسفة في معاهدنا العلمية الدنية والدينية

من مذكرات عمر بن أبي ربيعة

صـــديق إبليس . . .

للأستاذ محمود محمد شاكر

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

« وذهبت صهباء وبقيت أترقَّبها ثلاثة أيام ولياليها وهى لا تجىء ، حتى إذا كانت ليلةُ خرجتَ أنت إلى الطائف آخر خَرْجة ، جاءتنى صهباء فى جِنْح العَتَمة ودخلت هى وظمياء فقالت : لقد أطاع مولاى فى مرضاتِك ، فإن أذنتِ جئتُ به الساعة . قلت لها : ليّثى حتى يأوىَ جوان . فلما كان بعد هدأة الليل وفقدنا الصوت ، ذهبت صهباء ساعة ثم جاءت . ودَخل علىَّ رَجُل أسمر طُوالٌ نحيل البدن مَمْروق الوَجه أبيض اللحية أشعثُ أغبر ، كأن عينيه جمرتان تَـقِدان فى وقْـبَين غائرين كأنهما كهفان فى حِضْن جبل ونظرفى عينى فوالله لتمنيتُ أن الأرض ساخَتْ بى ولم أنظر فى عينيه ، فما هو إلاَّ أن سلَّم حتى سمعت نغمةَ صوتٍ شجىً كحنين الوالهــة ، فوالله لتمنيت أن يتكلم ما بقيتُ . ولم أدر ما أقول ودَهِشْت وهلك سوتى ، فنظرت فإذا هو يبتسم إلىَّ ثم يقول : « يا أم جوان ! لقد سميت إلى بيتك وما سميت من قبـل إلى بيت إلا إلى هذه البَـنِيَّـة » يعنى الـكعبة » . وقد جاءتنى فتاتى صهباء تحدثنى عما كان منها إليك ، وقبيحٌ بامرىء أنزع قلباً ساكناً أن يدعه أو يطمئن ، ولو كنتُ أعلم أنها مفتوقة اللسان ، ماحدَّثتها بشىء أبداً » . قالت كانم : فكأن الله جعل لى قوة سيلٍ جارف فقلت له : كذبت يارجل وكذبت بنت الأصفر ، ووالله لئن لم تأتنى ببرهان ما تقول ، لتركت شيبتك هذه أباديدَ فى أكف صبيان مكة . ووالله لو صدقت لأسترنك ولأكفينَّك ماعشتُ . فقال : « جزاكِ الله خيراً يا أم جوان إ أما إذ كذبتِ فأبىِ أن تذهبى فتستخرجى من جوف حقيبة عمر الحمراء بين جلدها ومفرشها كتابَ عبدالله بن هلال الفاسق بخط يده ، قد جعله تميمة لزوجك أن لا يراه أحدٌ إذا خرج إلى مأوى الفتاتين بالطائف ، ومعه منديلُ ابن هلال الأزرق ذو الوشى ، يمسح به وجْـهَه قبل أن يرحل » . فما كذَّبتُ أن طِرْتُ إلى مازعم ، فوالله لقد صدَق وبَرَّ »

« قال عمر » ، قلت : ما تقولين ؟ قالت : صه يا عمر فوالله لقد صدق وبرَّ ، وقلت له : أيها الشيخ ! أفأنت تعلَـمُ أين تجد هاتين الخبيثتين ؟ قال : لا . قلت : فما تزعمُ فتاتك من أن لاشىء يفعله الخبيث ابن هلالٍ إلا كان عندك خبره ؟ قال : صدقتْ . قلت : فـكيف لاتعلم ؟ قال : إنه أخبث وألأم وأضلّ وأدهى وأقرب إلى إبليس وبنته بَـيْذخ ذات العرش من أن أطيق معرفة ما انقطع بينى وبينه . قلت : وما بيذخ ذات العرش ؟ قال : إنها ابنة إبليس التى اتخذت عرشها على الماء ، حولها سودٌ غلاظ يشبهون الزُّطَّ ، حفاة مشققو الأعقاب ، ولا يصل إليها إلاَّ من قدَّم لها القرابين من حيوان ناطق وغير ناطق ، وترك لها من الصلاة والصوم ، وقدم إليها من الذهب والفضة واللآلىء حتى ترضى ، فإذا فعل ما تريد وصل إليهـا فسجد تحت عرشها ، فتَـخدمه من يريد وتقضى حوائجه . قلت : وما علمُـك بهذا أيها الشيخ ؟ قال : ذاك شىء قد كان والله هو التواب الرحيم . قلتُ : قد كان ! قال : نعم أما اليوم فلا ، وما يأتينى بأخبار اللعين الزنديق ابن هلال إلا صاحبٌ

مصبوغة صبغة مادية على ما كانت تعرض بها فى القرن التـاسع عشر فى أوروبا ، ولم تتبعها بالآراء التى تنازعها الـسلطان ، ولا بالـكتشفات العلمية التى تحد من غلوائها !

نعم قد نشرت بحوث عن العالم الروحى فى هذه البلاد ولـكنها قوبلت بردود دلت على أن أصحابها لا يدرون عنها شيئاً ، وكان أهون ما قالوه ضـدها إنها لا تزال رهن البحث ، ولم يبت فى أمرها بعد ، ونحن لا ندرى متى تنضج هذه البحوث بعد ما مر عليها قرن برمته ، وصدرت فى إثبات صحتها الوف من المؤلفات ، وأعلن اقتناعه بها الوف من العلماء والفلاسفة ؟ وهل بعد دخولها أشهر الجامعات يراد دليل على أن البحث فيها قد استوفى حقه استيفاء يؤهلها لأن تأخذ مكانتها الرفيعة بين سائر المعارف المحققة ، وتؤدى للمجتمع المهام الأدبية التى لا يمكن أن يقوم بها غيرها ؟

محمد فريد وجدى

من الجن قد آمن بإيماني ، ولكنه محجوبٌ عن الأسرار . قلت : أفلا تكرمني أيها الشيخ فتسأل صاحبك أن يحتالَ ليعرفَ ؟ قال : لا أدري ! ولكن ائتيني بطستٍ أُناجِ صاحبي .

« فأتيته بطستٍ فكبَّه ، وأخرج من كُمِّه غلالةً سوداءَ فنشرَها عليه ، وأمرَ بالفتائل فأطفئت ، وطلب جمرات في طبق . فلما تمّ ذلك أخرج عُوداً من المندلِ فطيَّر دُخانَه ، وجلس واختبَى ، وإن عينيه لتبصّان في الظلماء ، وجعل يتمتم ويدندن ويهمهمُ حتى كدتُ أنشقُّ ، ثم قال : يا زوبعة ! فإذا صوتٌ يأتي كأنما يخرجُ من جوف بئرٍ شطونٍ يقول : لبَّيك أبا الحسنِ ! قال : أتدري أين أنا ؟ قال : بلى دَرَيْتُ ! قال : إنه قد حضرني من الأمرِ ما تَعْلم ، أفأنت مُدْركي بمأوى الخبيثتين قينتيّ ابن هلالٍ ؟ قال : لقد علمتَ مالي بيبذخَ طاقة بعد إيماني بالله ورسوله ! قال : أفلا تحتال ؟ قال : تبّاً لك من شيخ سوء ! أتروموني أن أرتدّ إلى الكفر بعد الإيمان ؟ قال : مهلاً زوبعة ! أمالك من صديق ترفقُ به حتى تستلّ منه السرّ ؟ قال زوبعة : هذا فراقُ بيني وبينك أيها الخبيث . ووالله ما تركتَ السِّحْرَ إلاّ وفي قلبك رَجْعَةٌ إليه . خسئتَ أيها الفاجر ! » وإذا الطستُ يتحركُ فينقلبُ فأرى كمثل شرارة النار تنطلقُ مصعِّدة ثم تخْتفي . قال الشيخ : يا أمّ جوان ، لقد رأيت ، ومالي من حيلةٍ . قلت : احتَلْ لي وقاكَ الله السوء ، ولا والله لا تخرج من هذه الدار حتي تعطيني المواثيق بأن تفعلَ ما أريد . قال : يا أمّ جُوَان ، وكيف بعذاب الله ؟

« قالت كلثم : فوالله ما إن سمعتُ مقالته حتى خانتني قدماي فوقعت أبكي ويرفضُّ دمْعي كلذْع الجمر ، ورأيت الدُّنيا قد أطبقت عليَّ ، وما هو إلاّ أن أنشِجَ بالبكاء . فدنا الشيخُ وأسرَّ إليَّ أنْ أبْشري أمَّ جُوان ، فلا والله ما أدعُك أبداً حتى يطمئن قلبك ، واصبري غداً تأتيك الصهباء . وما أفقتُ حتى رأيتُني كالمأخوذة وظمياء تنضَحُ وجهي بالماء . وبقيت الليل كلَّه أطويه ساعةً بعد ساعةٍ حتى أصبحَ الناسُ ، وقلبي رجُفٌ ، ودمعي ينهلُّ ، وكأنَّ في سَمْعي دويّ النَّحْل ، حتى إذا قام قائم الظهيرة جاءت صهباء فقالت : يقول لك مولاي إنه يبغي رقيقين من الديباج ، وعشرة أثواب من الإبريسَم ، وبُرْدين كذّابين من الخزّ ، وخمسين لؤلؤة لم تثقب . فما كذّبتُ أن أعطيتُها ما طلبتْ . وغابت يومين ثم جاءتني مع العشي وقالت : يقول لك مولاي : لو أطاقَ أن لا يكلِّفك لفَعَل ، ولكن الأمرَ قد استعصى عليه بعد توْبته ، وإن يَبْذَخ (بنت إبليس) لتتقاضاه كِفاءَ ما عَصَاها في طاعة الله . وإنها قد طلبت أن يذبحَ لها من الذبائحِ ما يسيلُ على جنباتِ الغَوْرِ (مسكن الجن) حتى ترضَى . قلت : كم يريد مولاك ؟ قالت : بين المئتين والثلاثمئة . فوالله ما كذّبتُ أن أعطيتُها . فما غابت إلاّ يوماً أو بعضه حتى جاءت تطلبُ المنديلَ الذي أعصبُ به رأسي ، فما كذّبتُ أن أعطيتُها . ثم جاءتني من الغَدِ عند الأصيل ، فقالت : يقول لك مولاي لا تصلي العشاء الآخرة الليلةَ حتى يُؤذِنَك . فوالله لقد كبر علي ولكني أطعتُه ، وإذا أنا أسمعُ في سُدْفَة الفجر صوتاً كالتحدّر ما بين جبلين يقول : قُومي إلى صلاتك . فقمتُ فصلَّيتُ وما كدتُ حتى أذّن الفجر . فلما كانَ بعد أيامٍ جاءتني صهباء تقول : أبشري ! سيأتي مولاي الليلة . قلت : مرحَباً به من ضيف . فلما دَخَل الليل وسكن الناس ، جاء الشيخ لميعاده فسلّم وسكتَ ثم قال : انظري إليّ يا أم جوان . فنظرت في عينين كالنار المشعلة في الليلة الدامسة ، وجعل يُمر يده بين عيني وعينيه ، فكأنما احتجبتا عني أظلمت الدنيا في عيني ، وإذا وقعت عيني في عينه أضاء ما بيني وبينه كالسراج التوهج ، فوالله ما شعرت إلا وظمياء تنضحني بالماء حتى أفيق . قلت : يا ظمياء ! أين الشيخ ؟ قالت : لقد أذنتِ له أن ينصرف بعد أن أعطيته من المال ما طَلَب . قلت : تباً لي أين كان عَقْلي ؟ وكم أعطيته ؟ قالت : ألف دينار ذَهَباً ، وواعدَك أن يأتيك بعد سبعة أيام بمأوى الخبيثتين .

« قال كلثم : وهذا اليوم ميعاده ، ووالله لئن صدقتني يا عُمَر لقد حفظتك ما عشتُ في قلبي » .

« قال عمر بن ربيعة » : « فوالله ما كنت أدرى ما أقول ، إلا أني قلت لها : أصدقك ؟ لقد ضللت إذن أيتها الحمقاء » . قالت : « أنا حمقاء أيها الفاجر الفاسق ! ثم قامت إلى صوانها فاستخرجت منه شيئاً ونشرته لعيني ، فإذا سَرَقَةٌ من حرير أبيض عليها صورتان ، فما تأملتها إلا كانتا والله قينتي ابن

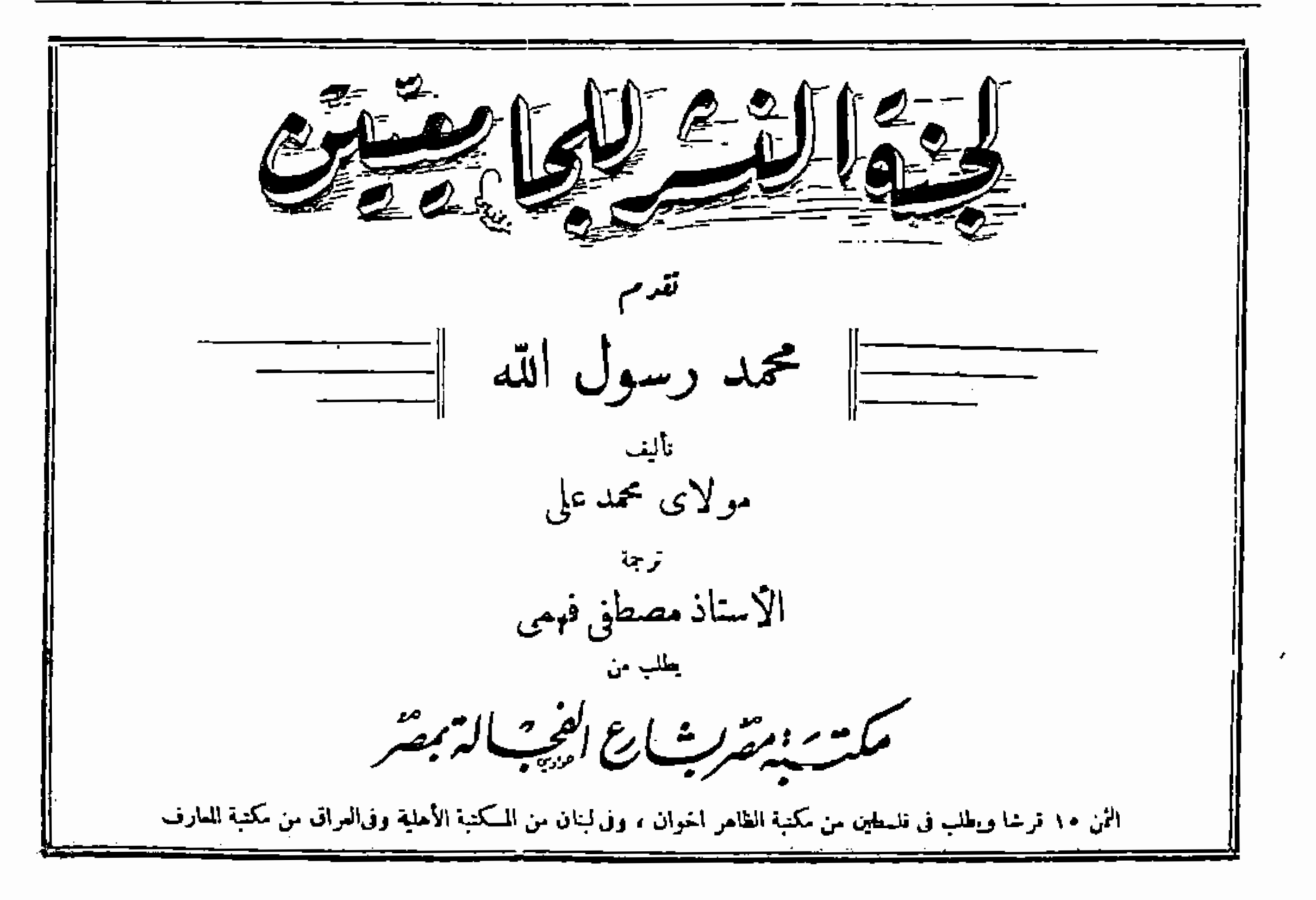
هلال حيث رأيتهما وسمعتهما بالكوفة ، ولقد كانتا فى السَّرِقة أجل وأفتن وأحبُّ إليَّ مما كانتا . قلت : إنهما والله يا كلثم قينتا ابن هلال ! قالت : وصدق الشيخ أيها الفاجر ! أتَدع حرائر بنى مخزوم إلى الخبيثات الدنيئات من بغايا الكوفة ، تخالف إليهن تحت الليل والسِّحر والكفْر وعبث الشيطان بك وبعقلك .

[قال عمر] : وإذا جوانٌ بالباب ينظر إلى الصورتين ، ثم يتقدم ويقول : ما بك يا أُمَّاه ! فتقول : هذا الخبيث الفاجر يدع الحرائر من بنى مخزوم ملطَّمات ويختلف إلى زواني الكوفة يقتادُهن إليه الخبيث ابن هلال بالسحر والطلاسم . وهذا منديله يمسح به غبارَ وجهه لا يراه الناس ساعياً إلى فجوره .

[قال عمر] : وجعلت تقص على جوان قصة ما كان ، وهى تنظر إلى كاللبؤة المُجرِية ربمت أشبالها ، فما كادت تفرغ حتى جاءت ظمياء مُسْعجِلة تقول : مولاتى ، صهباء بالباب . قالت كلثم : إيذنى لها . فما كدت أراها حتى فزعت قائماً إليها وأخذتُها بغدائرها : « وإنك لأنتِ أنتِ أيتها الشيطانة ؟ » فانقضَّتْ عليَّ كلثم تذودنى عنها وتقول : دعها أيها الفاجر ! قلت : إنها فِتّن جارية الخبيث الفاجر عبد الله بن هلال ، ولطالما خدمتنى بالكوفة ! أليس كذلك يافتن ؟ قالت : ارحمنى ياسيدى فما أنا إلا جارية بائسة مسكينة يركبنى هذا الشيطان بخبثه وخبائثه . قلت : وأين ابن هلال صديق إبليس وصاحبه قالت : ما تدركه يا مولاى ! فقد ارتحل الليلة وتركنى أتبعه والثَّقَل . قلت : وماجئت تبغين ؟ قالت : أرسلنى أطلب بعض المال من مولاتى .

قالت كلثم : دعها يا عمر الآن ، لقد ضللتُ إذن وبئس ما فعلتُ ، ووالله لقدخدعنى الشيطان ابن هلال . أين كان عقلى ! فقال جوان : والله يا أُمَّه ! لقد كان فجور أبى باصرأتين خبيثتين من بغايا الكوفة ، أحبَّ إليَّ من شِركك بالله وكفرك ! قومى يرحمك الله فتوبى إلى الله مما كان من ضلالك وكفرك ... »

محمود محمد شاكر



الحياة صادقة!

٢ – العـــدل الإلهى !

مقدمات لإدراكه واليقين به

[مهداة إلى العقاد الكبير بمناسبة مقاله « تبــارك رزاق البرايا »]

للأستاذ عبد المنعم خلاف

٦ – لقد وجدت من حسن حظ الإنسانية فى هذا العصر نظم صالحة تسمح لدعوات الحق والصلاح أن تتخذ طريقها وتزاحم فى أسواق الحياة بدون عوائق غير طبيعية ، بعد أن قدست حرية الفكر والقول وسمح لكل فرد أن يقول ما عنده بدون سباب أو أذى .

لقد تيقظت الإنسانية لحياتها وقيمتها ، وعرفت قيمة الفرد فيها ، فأفسحت الأمم الراقية له المجال ليخدمها بالقول والفعل مهما كان ما يدعو إليه جديداً غريباً ؛ ومتى أخذ الناس أنفسهم أن يسمعوا لكل قائل ثم يحاكموه إلى العقل فهم فى تقدم . فعلى كل مظلوم أن يصرخ ! وعلى كل داع أن يتكلم ، وعلى الجماعة أن تسمع لهذا وهذا .

والظلم السياسى أو الاقتصادى من القوى أو الغنى للضعيف المحروم هو الذى يجعل الإنســان يكفر أو يشك فى العــدل الألـهى . . وطبيعى أن الله لا يتدخل فى كل شىء بين الناس تدخلا ظاهراً . . وهو قد أقام قوانين الطبيعة حدوداً يتحاكم الناس إليها . . فالنار تحرق من يضع يده فيها سواء أكان صديقاً أم عدواً . . والتردى من شــاهق يهلك ، والتعرض للمرض يمرض ، والماء يغرق . وهكذا كل عمل له نتائجه الحتمية لأنها قوانين طبيعية لا تبديل لها ولا تحويل . . والله يترك لقوانين الطبيعة العقاب الطبيعى على كل مخالفة يرتكبها الفرد أو الأمة نحو تلك القوانين . ذلك ظاهر واضح فى مجال الطبيعة .

وأما فى مجال الإنسان فالاختيار أفسد عنده كثيراً مما كان يجب أن يسير عليه سيراً طبيعياً ، إذ قد ملأ حياته بالتهاون . . فالظالم يظلم وعلى المظلوم أن يثأر لنفســه ، ولو كلفه ذلك حياته . ذلك حكم الطبيعة وردها الإيجابى كما ردت بالاحراق على من دس يده فى النار . . ولكن المظلوم كثيراً ما يغفل ويهمل الإصرار على أخذ حقه ، وكثيراً ما تبطىء الجماعة أو تهمل فى رد حقه عليه .

وما دمنا نعيش فى جماعة فلا بد أن تتولى هى الأخــذ بثأر المظلوم من ظالمه حتى لا ينفرط العقد الاجتماعى . . فإذا فرط المظلوم فى حقه ، وإذا فرطت الجماعة فى الانتصاف له كان هنا حينئذ قانون طبيعى اجتماعى اعتدى عليه وخولف ولم يكن له من الإنســان تصحيح ورد لقيمته . وكان وراء ذلك حتما ثلمة فى الجماعة يتطرق منها الفســاد . فليس الذنب هنا ذنب العدل الألـهى ولكن ذنب الجماعة التى برهنت حين أهملت الاقتصــاص من ظالمها أو ظالم أحد أفرادها ، مع أنها أقوى من ذلك الظالم ، على أنها لا تستحق الحيــاة الرشيدة لأنها لا تعرف قوانين المقاومة ، وعلى أنها غثاء وقش يستحق أن تضغطه قوة أخرى أصلح منه للسيطرة على الحياة .

إن الله يقاوم النفس بالنفس كما يقاوم أى قوة طبيعية بقوة مضادة لها ليضمن التناسق والصلاح ودوام كل شىء كما وضعه وجعله يسير فى دوراته الأبدية .

وإن حجته الناهضة على عدله أنه لم يجعل لأحد سيطرة على فكر أحد وشعوره القلبى . فلن تستطيع أية قوة أرضية أن تتحكم فى فكرك وشعورك ، فإذا أحسست بظلم ، فأمام نفسك قوة حرة تستعين بها : هى حرية الحركة الفكرية والغضبية لرد الظلم عنك ، فلا تغفل حقك فى الحياة ، ولا ترضى بها غير كاملة الحقوق ، ولا ترض بحياة الضعف مهما كلفك السعى للقوة ، واستمع لهذا الصوت المتفجر من ضمير الكون يصيح بك :

« إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى انفسهم . قالوا فيم كنتم ؟ قالوا كنا مستضعفين فى الأرض . قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ؟ ! فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً » .

٧ – وأول واجبات الجماعة أن تبحث عن أصلح رجالها لتوليه حكمها . أى أن توسد الأمر إلى أهله ، وأن تقيم حدود حياتها ولا تتهاون أو تستثنى فيها ، ثم تترك لحاكمها أن يحكمها بالعدالة والقوة القاهرة الرادعة

ذلك هو أسلوب الله فى حكم العالم : قوة وإحاطة ، وقهر ويقظة ، وعدالة ومجازاة .

وإن الجماعة هى المسئولة عن كل ظلم أو فساد يتطرق إليها .

وإن الله لا يتدخل بتغيير شيء فى حياتها إلا إذا أرادت وغيرت ما بنفوسها ، إنه جعلها فى الأرض صاحبة سلطان يكاد يكون مطلقا فى شئون حياتها الاجتماعية وعلى هذا فهو غير مسئول عن توزيع الثروات توزيعاً ظالما ولا عن شيوع الجهالة والآثام .

من قال إن لكل إنسان الحق فى أن يملك جزءاً كبيراً من ثروة وطنه التى جمعها له كثيرون من العمال والفقراء ، ثم لا يؤدى حق الفقير والمحروم ، ويترك أبناءهم يبحثون عن اللقمة والخرقة فى المزابل كما ترى ! بينما هو يكاد رأسه يتحطم بعمليات حساب أمواله المكدسة ! ؟

من الذى أباح للانسان أن يملك أكثر من حاجات نفسه وكمالياتها فى متوسط عمر الانسان ؟ فإذا كفل أن يملأ مطبخه كل يوم بألوان مختلفة كثيرة ، وداره بالفرش والرياش الفاخرة ، واصطبله بالخيول المطهمة والسيارات الفخمة ، وفناء داره بالأزهار وهكذا . . فما باله يشح على أمته فيما وراء ذلك ؟ !

فإذا تمتع كما يحلوله وأفرط فى ذلك حتى مرض فما باله ينسب ذلك المرض إلى الله ويسخط عليه ؟ !

من قال للانسان الغنى ، أو الفقير : احشد على مائدتك كل مادة مغلظة . . أو كل لحم الرِّبض من البهائم ، أو كل مالا تطيقه أحشاؤك . . أو كل طعام الصيف فى الشتاء وطعام الشتاء فى الصيف ، أو أفرط فى السهر وعربد وأطلق لأهوائك وشهواتك العنان وسوف لا يكون من وراء ذلك شقاء ولا هم يحزنون ؟ !

ومن قال لك : كن قوادا لفلان . . أو ماسح حذاء فلان ، أو تماماله لترقى أو تنال درجة أو وظيفة ؟

ومن قال لك : بع حريتك واجعل خدك مداسا وقل للكلاب : يا سادتى . . فى سبيل الخبز القذر المعجون بدموع الذلة !

ومن قال لك : اترك ابنك قذر الجسم والثوب عليه التراب والذباب لأن العمر بيد الله ؟ !

ومن قال لك : لا تحافظ على الطفولة «منطقة نمو الإنسانية» وأخرجها ضعيفة جاهلة ؟ !

ومن قال : إن الحياة آلام ومشقات ؟

من قال ؟ ومن قال ؟ ومن قال ؟ آلله قال هذا ! أم الجماعة الفاسدة هى قالت ذلك ونسبته إلى الله ، جعلتك تتهجم على العدل الألهى الذى أقام الناموس الطبيعى بموازين لا تخطىء ولا تحابى ؟ !

اسمع ما يقول القرآن : « ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ؛ ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون » . « وما كان ربك مهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون » . « يا عبادى الذين آمنوا إن أرضى واسعة فإياى فاتقون » والتقوى كلمة جامعة ينبغى أن يكون لها مدلولها الأول : وهو العمل الوقائى للخير ولدفع الشر . « الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى انفسهم » إلى آخر الآية التى مر ذكرها .

٨ — قم إلى جسمك وقوه بالرياضة وحافظ عليه من عوامل الفساد ، ولا تأكل إلا ما يسمح لك به الطب ، ولا تسرف فى الأكل والشرب ، ونق جسمك من الأخلاط والفضلات الضارة . . ثم انظر هل يبق به من سقم أو كلال إلا ما تستتبعه الحياة العادية فى الأرض ؟ !

وقم إلى منزلك ومتعه بهبات الله من الشمس والضياء والهواء والبعد عن العفونات والرطوبات ثم انظر هل تجد فيه غير بهجة الحياة ؟

وقم إلى فكرك وعلمه وهذبه وسلحه بأدوات العصر وقلبه فى أعاجيب الكون ، ثم انظر هل تجد بعد ذلك سخطا فى نفسك وتشاؤما ؟ ! وقم إلى حواسك ومتعها بالجمال المباح ولا تحرمها من زينة الله التى أخرج لعباده ، وأذهب عنها الملل والسأم وعنت الجد والعمل ببعض اللهو واللعب المشروع ، وغن فى غير فحش إن كنت حسن الصوت ، واسمع الغناء والألحان فى غير إسراف ، وارقص رقص الرجال ، رقص الفتوة وطفور القوة الذى لا تخنث فيه ولا شهوة ولا مخاصرة ؛ لتنفض عن كتفيك أعباء الهموم فى بعض ساعات حياتك . . واضحك من قلبك كطفل ، وافرح بالشمس والقمر ، وأسلم جسمك للنسمات . ولكن احذر أن تحول الاحساس بالراحة من عنت الأعمال الجدية إلى شهوة تتملكك وتسلبك التحكم فى إرادتك وتمنعك من أداء واجباتك . فإن هذه الملاهى والراحات ما حرمت عند بعض المتزمتين إلا لأنها تطغى على النفس وتمنعها عن الواجبات . وكما أن الماء يحرم إذا أورث شاربه

عن المعاني والالفاظ كل على انفراد . فلن يبرز المعنى الواحد الا في صورة واحدة ، فاذا اختلفت الصورة اختلف المعنى بقدر اختلافها . وقد لا يتأثر المعنى العام في ذاته ، ولكن صورته في النفس والذهن تختلف ، وهي المعول عليها في الفن ، اذ التعبير للتأثير ، فاذا اختلف الأثر الناشيء عنه ، فالمعنى المنقول مختلف بلا مراء ! »

هذا ما كتبته يومذاك . وفيه اقرار بالفضل للمفكر الاول ، مهما يكن في عرضه للرأي من تقصير ، ذلك أنه لا يطالب بالكمال في ذلك الزمن البعيد

ثم يستطرد المؤلف إلى أن اللفظ قد استبد بالأدب العربي وأن آداب اللغة العربية جميعها آداب لفظية ، وشيء كثير من هذا صحيح . هو صحيح بالقياس الى النثر العربي بلا جدال . أما بالقياس الى الشعر فالأمر قد يختلف . ذلك أن هذا الشعر على ما فيه من عيوب تعرضت لها في مقالين قريبين بالرسالة واقتبس منهما الأستاذ عادل في الاستشهاد على هذا الرأي بعض الفقرات — أقول على الرغم من ذلك فانه لم يخل من القليل الجيد الحي المعبر عن الحالات النفسية والخلجات الطبيعية ، التي تبرز فيه من وراء الألفاظ حتى لتتوارى هذه الألفاظ ، والمجال لا يتسع هنا لضرب الأمثال ، فأنا معجل عنها إلى قضية أخرى تعرض لها الأستاذ عادل تعرضا لم يرض الكثيرين وذلك حين يقول :

« ولعل مما يلقي بعض الضوء على سر استبداد اللفظ بأدباء العرب ماقاله «موم» بصددالأسلوب الأدبي في أمريكا . ففي رأيه أن هذا الأسلوب الذي تستمد معظم مقوماته من لغة الجمهور الحية يعتبر — في نماذجه الجيدة — أكثر أصالة وحيوية من أسلوب الكتاب الانجليز . وهو يرجع علة ذلك إلى أن الكتاب الامريكيين نجوا من استعباد الترجمة الانجليزية للتوراة التي وضعت في عصر الملك جيمس » كما أنهم كانوا أقل تأثراً « بالاساتذة » الانجليز القدماء . والحق إن تحكم كتاب بعينه في أدب شعب من الشعوب — ومثله تقديس كاتب أو نخبة من الكتاب — معناه منع هذا الأدب من النمو والتطور ، والوقوف به عند حد معين لا يتعداه إلا بالثورة . والثورة تصلح ولكنها تحطم وتفسد في نفس الوقت . ومع ذلك فقد تصبح في بعض الاحيان شرا لا بد منه »

فهم بعض إخواننا من هذه الفقرات أنه يشير الى أسلوب « القرآن » وتحكمه في نمو الأدب العربي ، وغضبوا لهذا الفهم جدا ...

وأنا أحب أن أعرض للمسألة على هذا الوجه ، وأن أحكم الحس الديني في مسألة أدبية

إن هذه الواقعة غير صحيحة في ذاتها ومن أساسها بالقياس الى الأدب العربي وعكسها هو الصحيح . والأمر الذي اهتديت اليه في كتابي الذي مر ذكره ، قد يبدو عجيبا لأول وهلة .

إنني أزعم أن الادب العربي لم يستفد بعد من أسلوب القرآن طوال هذه الاربعة عشر قرنا من الزمان ! بله تحكم هذا الاسلوب في نموه ! لقد بقي القرآن مجهولا — من ناحية الفنية — طوال هذه القرون من العرب وغير العرب على السواء . في الوقت الذي نضج البحث فيه عن النواحي التشريعية والاجتماعية والتاريخية واللغوية ...

ان سر التعبير القرآني قد بقي مغلقا ، فلم يتأثر به الادب العربي في صميمه مجرد تأثر . هناك اقتباسات ومحاكاة لفظية ، ولكن الطريقة والاتجاه قد بقيا سرا مغلقا الى الآن ، ولو قدر للأدب أن يستقي من هذا المعين لكان اليوم غير ما كان ...

إن عيب الادب العربي الاول — كما قلت في مقالي بالرسالة — أنه ضئيل الحظ من الصور والظلال ، وأن الذي يغلب عليه هو المعاني الذهنية والحسية ، والتعبيرات المباشرة التي لا تلقي ظلا ولا تشع حياة . وهو في هذا نقيض الاسلوب القرآني الذي يجعل الصور والظلال قاعدة في التعبير ، والذي يحيل المعاني المجردة والحالات النفسية صورا ومشاهد وظلالا . كما يحيل كل جامد في الطبيعة شخوصا حية وكل مشهد من مشاهدها جديد كأنما تراه العين أول مرة والذي يصور المعاني الذهنية كما تبدو من خلال نفس حية ... وهذا ما ينقص الادب العربي ليبلغ مداه .

ولن أستطيع هنا ضرب الامثلة ، ولا سرد بحث قد استغرق مني أكثر من مائتي صفحة . ولكنني أستطيع أن أجزم بعد الاستقراء الممكن للشعر العربي أنه لم يستق من معين القرآن . فقد تحكمت فيه — مع الاسف — تقاليد الشعر

الجاهلي فترة طويلة بعد وجود القرآن ، ثم تحكمت فيه المباحث الفلسفية والذهنية منذ القرن الثالث بل قبل ذلك ، فصار في معظمه أدبا حسيا ثم أدبا ذهنيا ، وقلت فيه الصور والظلال ، لأنه أبعد عن معين الصور والظلال . فاذا آن له اليوم أن يرجع إلى هذا المعين ، فسيجد فيه الزاد الكثير ! ... إذا كان تحكم كتاب بعينه في الأدب الأنجليزي قد عوق نموه فاننا كنا نتمنى تحكم كتاب بعينه في الأدب العربي ليدفع به الى الأمام.

* * *

وعلى كثرة ما أجاد الأستاذ عادل وهو يتحدث عن عيوب الأساليب العربية في النثر ، وعن الحسية والذهنية في الشعر ، وعن القصور المعيب في قواعد النقد ، فقد كان اندفاعه العنيف في هذا المجال سببا في تجاوز القصد ، ومجانبة الصواب في بعض الأحيان . إننا نتفق معه في وجوب أن نملك نحن اللغة ولا ندعها علكنا بأساليبها التقليدية ، وكل ما ذكره في هذا الصدد بالغ غاية الجودة ، ولكنه حين يتجاوز هذه المنطقة يأخذ في الغلو .

يقول مرة : « موضوعات الشعر العربي — فيما عدا الغزل — هي الحكم والفلسفة ، ثم النقد في صورة هجاء والوعظ في صورة مديح . فإذا تركنا الغزل جانبا وجدنا أن هذه الأغراض جميعا أجنبية عن الشعر ، لا بوصفه نظما ، ولكن بوصفه أداة تعتمد على إثارة الخيال . . »

وفي هذا الكلام غلطة أساسية . فليس هناك موضوع للشعر وموضوع للنثر . إنما العبرة بطريقة تناول الموضوع . ففي بعض حكم المتنبي مثلا شعر أصيل ينبعث من نفس حية ويوحي بشتى الانفعالات ، وفي هجاء ابن الرومي صور فنية بارعة مليئة بالحياة ، وفي بعض الوصف للبحتري إيحاءات وظلال شاعرية . . وهكذا .

فمن الخير أن ننظر في الفن دائما إلى طريقة تناول الموضوع لا إلى ذات الموضوع . فكل موضوع قابل للفن وقابل للعلم وقابل للفلسفة على نحو من الانحاء .

ورأى آخر في الشعر الغنائي .. فانني أرى بيننا فتنة لا تنتهي بالشعر القصصي والشعر الروائي . وأنا أزعم أن الأصل في الشعر هو الغناء . الغناء الذاتي الفردي . وأنه حين يتجاوز هذه المنطقة يكاد يتعدى خير مجالاته . وأنه إذا كان الشعر القصصي أو الروائي قد راج في حقب من الزمان ، فانه الآن غير قابل للحياة إلا بمعجزة ، وأنه آن للشعر أن يرتد غناء ، وغناء فحسب !

إن الشعر العربي لم يتخلف لأنه غناء ، ولكن لأنه لم يكن غناء حقا ! فلم يعرف كيف يغني فينطلق من قيود الحس والذهن إلا في القليل منه ، وهذا هو أخلد قسم فيه .

ونحن لا نوافق رأى أرسطو الذي يستشهد به الأستاذ عادل : « إن على الشاعر أن يتحدث عن نفسه أقل حديث ممكن وإلا فهو ليس بالمصور والمحاكي لأعمال الرجال كما يفترض فيه »

فلأرسطو أن يقول في هذا ما يشاء . فنقول له : كلا ! إن على الشاعر أن يتحدث عن نفسه أكثر حديث ممكن ، وله ألا يلتفت مرة واحدة إلى سواه !

* * *

ولدينا مباحث كثيرة قد أثارها الأستاذ عادل عن طبيعة اللغة العربية وعيوبها الذاتية كافة ، والخلاف بيننا وبينه طويل في هذه المباحث ، وإن وافقناه في الكثير منها ، فنحن لا نرى النقص في صميم اللغة ، ولكن في أساليبها ، والأسلوب من صنع الأدباء وعليهم وحدهم أن يطوعوه . وعلى كل حال فنحن لا نجد الفراغ الكافي للجدل حول هذه المباحث ، لأننا نريد أن نعرض لنقطة أخيرة .

تلك هي مسألة الأخلاق ، ومسألة الكتابة عن العظماء ، وبينهما نوع من الارتباط ، ولا نحب أن نطيل القول في هذا المجال ، فلنرجع به إلى قاعدة محدودة .

أمن الخير الانسانية أن تنطلق مع غرائزها وشهواتها — بلا ضابط ولا قيود — أم من الخير للانسانية أن تكون هناك كوابح وزواجر في صورة من الصور ؟

وبتعبير آخر : أمن الخير للانسانية أن تظل خاضعة للغرائز خاضعة للشهوات . أم من الخير للانسانية أن تتحرر من هذه الضرورات — ولو بالتسامي والتصعيد إذا كانت لم تبلغ حتى اليوم درجة التحرر التام ؟

أما نحن فلا نتردد في اختيار الوضع الأخير . وأما الأستاذ عادل فيجعل (جماعة القلعة) في قصته يرون الخير كله في إباحة كل محرم ، وفي الانطلاق من جميع القيود الأخلاقية ، للوقوع في جميع القيود الغريزية !

وهذا هو مفرق الطريق !

ثم إنه ينكر على بعض كبار الأدباء عندنا ، ويستشهد في

أذى كذلك تحرم هذه .

وقم إلى طفلك واحذر أن تلق بذرة إنسانية مسمومة بالخمر أو الأمراض الخبيثة حتى ينبت وهو صحيح فى ظلمة الرحم ثم حافظ عليه وهو حمل جنين فلا تجعل مؤثراً عنيفاً يؤثر فيه حتى يخرج الطفل بريئاً من عوامل الالتواء والاعوجاج فتعهده وتيقظ لتنمية حواسه وجسمه وافتح روحه وثقفه ، وكله وهذبه .

وقم إلى روحك فاعتقد لها العقيدة الصالحة الصحيحة وتعبد بمقتضاها حتى توقظ فيك حياة الاتصال ببارىء الكون وتجعلك تحيل عليه جميع أمورك وهمومك وآمالك ، وتقدم إلى وجهه جهادك وصبرك . ثم قم إلى الجماعة التى تعيش فيها وأقمها على المنطق والمصلحة العامة واحمل الناس على الانصاف فإنك حينئذ ترى الفردوس المنشود .

٩ — كل هذا قد لا يملكه الفرد لنفسه وذريته وحياته ، ولكن تملكه الأمة لأفرادها إن أرادت ! وإرادتها حينئذ تكون من إرادة القدر الألهى . . بل إرادة النفس هى بدء إرادة القدر الذى فى حدود قوانين الحيـاة . أما القدر الذى يأتى من وراء الحدود فذلك أمره إلى الله وحده . وهو قليل ونادر جداً .

إن محمداً رسول الله هزم هو وجيشه فى يوم « أحد » ويوم « حنين » لأن فئة من جيشه لم تأخذ بما أمرها به العقل فتركت فى أحد أماكنها فى الصفوف لشهوة صغيرة ، وأعجبتها كثرتها فى حنين فلم يحاب قدر الله الجميع ولو كانوا أصحاب محمد لأن القدر لا يحابى من يخالف قوانين الحياة . وفى ذلك إرشاد بالغ للمسلم حتى يعتمد على فكره وإرادته بعد أن يطلب التوفيق من الله .

إنى أتصور فى بعض الأحيان أنى ألقيت بنفسى فى النيل ، أو لم أنحرف عن طريق ترام مقبل أو سيارة شبراً واحداً ، فإذا بحيـاتى تضيع لأنى أنكرت قوة من قوى الطبيعة لم أحسب حسابها أو استهزأت بها . وهى ذات بأس الحديد أو صعق النار أو غمر الماء .

إن الذى يقرأ القرآن مليون مرة فى مواجهة عـدو مسلح لا يجديه ذلك شيئاً كما يجديه أن ينفذ آية واحدة منه وهى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة . . الخ » ! ذلك لأن اللص لا يجديه شيئاً أن يحفظ أو يتلو قانون العقوبات ، لأن هذا القانون لم يوضع للتلاوة والاستظهار بل للتنفيذ .

فالأوامر القرآنية منزلة لتنفيذها وإقامة الحياة بها لا « لحفظها » وإهمال تطبيقها . وتلك حقيقة أخطأ كثير من المسلمين فهمها مع الأسف .

وطبعاً ليس فى هذا وعد بالجنة فى الأرض بناء على تنفيذ هذه الوصايا . . ولـكن فى هذا زحزحة عن النار . . عن جحيم السخط والألم والنكران والجحود والشك فى قيمة الإنسـان وفى العدل الألهى وعن النظر إلى حياة التدين كحياة كآبة وضعف وحزن وضنى وألم وسخط وندم .

وبعد « فلنحاسب » الله « ولنحاكم » عدله الآلهى بعقل سـام وفكر كبير كفكره تعالى فى الطبيعة كلها . . وهذا لا يكون إلا إذا نظرنا إليه تعالى نظرة تتمثل فيها الإنسـانية كلها لا نظرة أمة أو جماعة يزعمون أنهم شعبه المختار ، فهم لذلك يعتقدون أنهم أحق بكل ثروات الأرض وقوة الأرض وجنة السماء ! أو نظرة جماعة ذليلة مستعبدة فقيرة يملكون أن يموتوا أحراراً ولكنهم لم يفعلوا ورضوا بمذلات الحياة .

فمن سوء الإصرار وقلة الانصاف أن نظل نحاسب عدل الله بعقول أطفال قصار النظر يريدون أن يستأثروا بحبه تعالى لهم وحدهم ويحاربوا من عداهم من عياله .

ومن المضحك أن كل شعب يزعم أنه الشعب المختـار . . أفراده أبناء الله وأحباؤه ! ومن المؤسف أن كل فرد فى كل شعب غير مهذب يريد ثروة الحياة كلها لنفسه وحدها !

إننا نستطيع أن نقيم العدل الألهى فى الأرض وأن نحصل على السعادة إذا تحررنا من تاريخ طفولة البشرية الذى لا يزال يصاحبنا ويتمثل فى غرائز الإنسانية تمثلا فظيعاً يحيل حياة كل أمة إلى شقاء ، ويجعلنا كلنا نخسر التمتع اللائق بهذه الرحلة السعيدة التى دعانا الله إليها على هذه الأرض ، ويؤخر تقدمنا العلمي الذى يفتح علينا بركات من السماء والأرض تطعمنا من جوع وتؤامننا من خوف وتزودنا من طمأنينة اليقين بعدل الله والرضا عن الحياة :

عبد المنعم خلاف

على هامش النقد

٢ ـ مليم الأكبر

بحث وقصة ... عادل كامل

للأستاذ سيد قطب

تقدم الأستاذ عادل كامل إذن بقصته هذه التي تحدثنا عنها — على قدر الإمكان في مقال سابق الى المجمع اللغوي، فلم تمنحها اللجنة الأدبية جائزة القصة المقررة . وقد وافقنا نحن اللجنة في قرارها على أساس أن مثل هذا الاتجاه مما يحتمل الـكاتب تبعته وحده أمام القراء مباشرة ، بلا وسيط من الهيئات المسئولة .

وعندئذ كتب المؤلف تلك المقـــدمة الطويلة التي بلغت مائة وثمانيا وعشرين صفحة ! وكان في ذلك الخير . فقــد أصبحت هذه المقدمة بحثا مطولا في اللغـــة والأدب والفن والأخلاق وصارت هي الأخرى عمـلا أدبيا مستقلا بذاته ، قابلا للنقد والجدال !

ولقد تشعبت نواحي هذا البحث ، فلابد من الاختصار في مناقشتها . وتيسيرا للأمر سنسلك نفس الطريق الذي سلكه في إيرادها .

***

فهم الأستاذ عادل أنه كان هناك اعتراض على « مستوى » أسلوب القصـة ، فأخذ في بيان ما يفهمه عن الأساليب الجيدة والأساليب الرديئة فنفي أولا بأن هناك فكرة وتعبيرا كلاهما مستقل عن الآخر ، وأن هناك فكرة جيدة تعرض في أسلوب رديء .

« هـذا رأى النظرة العجلى » فالفـكرة لا تخطر للـكاتب مجردة ، بل تأتيه في صورة ألفاظ ، هـذه الصورة اللفظية هي أسلوبه الذي تتحـكم فيه الفـكرة تحكما تاما . لهذا أنت لا تستطيع أن تعبر عن الخاطر عينه بطريقتين مختلفتين . فحتم أن يتغير المعنى ان اختلفت طريقة الصياغة . لأن المعنى الذي يوحي به اليـك كاتب ما هو خليط غير منفصل من الفـكرة واللفظ

« فمن يفهم الأدب فهما صحيحا لا يقر بإمكان وجود موضوع جيد مكتوب بأسلوب رديء ، لأنك وان اعجبت بالموضوع ، فأسلوب الـكاتب وألفاظه هما اللذان أوحيا اليك بالإعجاب ، فهما الصلة الوحيدة بينه وبينك .

« ثمة فـكرة جميلة سرت الى نفسك ، وانت تطالع كتابا كيف تم هذا ! عن طريق لفظ وفي صورة لفظ . فحتم إذن أن يـكون الجمال في اللفظ إذ لو كان الأسلوب رديئا لما وصلتك الفـكرة الجميلة »

وهذا كلام جيد . ونحن نوافق عليه بنصه وفصه . لا بل أنا قد كتبته منذ أشهر في فصل من فصول كتابي « التصوير الفني في القرآن » الذي يطبع الآن ...

ولكن من الحق أن نرجع الفضل الى أهله . فلست أنا ولا الاستاذ عادل ، ولا النقاد الحديثون في أوربا هم أول من خطرت لهم الفكرة على هذا النحو كما يقرر هنالك رجال ممن كتبوا عن « البلاغة » منذ مئات الأعوام قد اهتدى الى هذه الحقيقة ؛ ولقد عبرت عن هذه الحقيقة في كتابي على النحو التالي

« إنا لنحسب أن « عبد القاهر » قد وصل في مشكلة اللفظ والمعنى الى رأى حاسم حين انتهى في « دلائل الإعجاز » الى أن اللفظ وحده لا يتصور عاقل أن يدور حوله بحث من حيث هو لفظ ، انما من حيث دلالته على معنى . وأن المعنى لا يتناوله البحث من حيث هو خاطر في الذهن ، ولـكن من حيث أنه ممثل في نظم . وأن المعنى مقيد في وجوده بالنظم الذي يؤدى به ، فلا يمكن أن يختلف النظمان ثم يتحد المعنى تمام الاتحاد .

« لم يصغ عبد القاهر القضية هذه الصياغة فنحن نترجم عنه باختصار ، وإلا فقد استغرق فيها كتابا كاملا لا نستطيع نقله هنا ، ولا نقل فقرات منه بذلك الأسلوب المعقد الذي لا يتسق مع كتاب عن « التصوير الفني في القرآن » !

« ولـكن « عبد القاهر » له فضله المطلق في تقرير هذه القضية . ولو خطا خطوة واحدة في التعبير الحاسم عنها لبلغ الذروة في النقد الفني . فنقول نحن عنه : إن طريقة الأداء حاسمة في تصوير المعنى . وإنه حيثما اختلفت طريقة التعبير عن المعنى الواحد اختلفت صورة هـذا المعنى في النفس والذهن . وبذلك تربط المعاني وطرق الأداء ربطا لا يجوز الحديث بعده

إنكاره هـذا رأى للدكتور مندور ! أن يكتبوا عن محمد وأبى بكر وعمر وعلى . لماذا ! لأنهم عظماء ! وكان الواجب أن يكتبوا عن (رجل الشارع) !

لكأن العظمة جريمة يعاقب عليها أصحابها بالإهمال !

إن رجل الشـارع ليستحق الحديث ، نعم ، ولـكن العظام يستحقه — على الأقل كرجل الشـارع — والأدب مكلف أن يتحدث عمن يحسن الحديث عنهم ، من هؤلاء أو من هؤلاء ، وكل تحكم فى اتجاهه إنما هو مجاوزة للحق ومجانبة للصواب .

* * *

وبعد فليس ما ناقشته هنا إلا جانبا ضئيلا مما طرقه المؤلف من مباحث ، وحسبه أن يثيرنا للرد أو للموافقة ، فهذا أو ذاك نجاح ولا شك للكتاب .

سيد قطب

أثر الرسالة فى الأدب المعاصر

بمناسبة دخولها فى السنة الثالثة عشرة

للدكتور سيد حنفى

راودت خاطرى طويلاً فكرة الكتابة فى أثر الرسـالة فى الأدب المعاصر . ولم يكن يمنعنى عن المضى فيها غير انتظار المناسبة ، فأنا رجل بطبيعة مهنتى لا أقبل على عمل إلا بميعاد معلوم ، ولا أقيم له كيانا إلا بميزان محدود . ثم كانت مناسبة دخول الرسالة فى عامها الثالث عشر فتجسمت الفـكرة يقينا مفصلا ، وأسرعت إلى الكتابة يدفعنى عاملان مهمان : الأول مايضطرب فى نفسى من رغبة الإنصاف ، والثانى ما يغمرنى غمراً من أطايب الرسالة وكتابها وشعرائها شيبا وشبانا .

ليس من شك فى أن الكتابة عن أثر الرسـالة فى الأدب المعاصر تسدى خدمة كبيرة لمحبى الأدب والتاريخ الأدبى خاصة ، فليس من الميسور على القارىء فى المستقبل أن يلم بأطراف نهضتها الأدبية العظيمة فى مجلدات ضخمة قد يتيسر له الإطلاع عليها وقد لا يتيسر . ومن ثم فان الـكتابة المركزة التى ترسم حدود المدارس الأدبية الـكبيرة التى نشأت فى ظلال الرسالة وكان قادتها من كتابها وشعرائها ، إن هذه الـكتابة تيسر الأمر الذى يصعب فى الحالة الأولى ، وتوفر الجهد لمن يريد الإطلاع والمعرفة وإقرار الحقوق لأصحابها .

ولا يهمنى هنا أن أرسم الخطوط والظلال كاملة لقادة هذه المدارس ، ولهذه المدارس نفسها ، فهذا لا يتسع له مقال ، وإنما يحتاج إلى كتاب . وحبذا لو نهض بهذا العمل الجليل أديب فاضل من أدباء الرسالة ، والذى أريد أن أكشف عنه وأقدمه إلى القراء هو تقسيم أدباء الرسالة وشعرائها إلى مدارس متميزة متباينة لـكل منها خصائص واضحة .

وقبل كل ذلك سـنقدم أسماء كبار كتابها وباحثيها من شيوخها، وأسماء كبار كتابها وشعرائها ومفكريها من شبابها ، وسنضطر إلى وضع اسم واحد فى قسمين من تقسيماتنا لجمع صاحبه بين النثر والشعر مثلا . وسيرى القارىء أيضاً أننا سنذكر أسماء لا تـكتب فى الرسالة اليوم، ولـكن الحق والغيرة الأدبية يقتضيان أن نذكر فضل الرسالة عليهم وفضلهم عليها ليتم فضلهما معا على الأدب عامة . فمن شيوخها الأفاضل : الأساتذة الأجلاء : الزيات ، وطه حسين ، وأحمد أمين ، والعقاد ، وعزام ، والرافعى ، ومظهر ، ومحمد عوض ، وزكى مبارك ، ومحمود البشبيشى ، والغمراوى ، والنشاشيبى ، والرصافى ، وأحمد زكى ، وعبدالمتعال الصعيدى ، وتوحيد السلحدار ، وتوفيق الحـكيم ، والأب أنستاس الـكرملى ، وعلى محمود طه ، وابراهيم ناجى ، والنشار ، وجميـل صدقى الزهاوى ، وإيليا أبو ماضى ، ومحمود غنيم ، وخليل بك مطران ، وقدرى طوقان ، ورامى . ومن شبابها المبقريين : الأساتذة الـكرماء : على الطنطاوى ، وعبد المنعم خلاف ، وسيد قطب ، وصلاح المنجد ، ومحمود الخفيف ، ومحمد مندور ، ودريني خشبة ، ومحمود إسماعيل ، وحسين البشبيشى ، وأمجد الطرابلسى ، وسـعيد العريان ، وصالح جودت ، ومختار الوكيل ، ونجيب محفوظ ، ومحمود السيد شـعبان ، وزكريا ابراهيم ، وفهمى عبد اللطيف ، وعبدالرحمن الخميسى ، والعوضى الوكيل ، والمجمى ، والصيرفى ، والدكتور عزيز فهمى ، وفتحى مرسى ، والجبـلاوى ، والزحلاوى ، وعتيق . ولن أستطيع نسيان السيدة الزهرة ، والآنسة فدوى طوقان .

هـذه أسماء لامعة فى تاريخ الأدب ، والفضل فى ظهورها فى الأفق الأدبى يرجع إلى الرسالة قدمناها بغـير ترتيب لنمهد للقارىء السبيل إلى تقسيمها إلى مدارس تجمعها الرسالة .

رأينا أن بعض هذه الشخصيات قد انفردت باستقلال فى شخصيتها، بل إن قوة هذه الشخصية المنفردة قد أثرت فى غيرها

فتكونت مدارس سنعرض لها . ومن هذه الشخصيات الأساتذة: الزيات والرافعي والعقاد ، وهؤلاء كان لهم حقا مدارس ملموسة الأثر في الرسالة . أما طه حسين وزكي مبارك فمع حيويتهما الفائقة فإن أثرهما وإن عظم في الأدب عامة ، لا نستطيع أن نجد له خطوطا بارزة في مدارس الرسالة الأدبية . وسنتكلم عن هذه المدارس .

مدرسة الزيات

ليس من شك في أن للأستاذ الزيات طريقة فذة واضحة التقاسيم ، قوية السبك ، ولعل أبلغ بيان لها وأقوى دفاع عنها هو ما كتبه في سلسلة مقالاته عن « دفاع عن البلاغة » ولسنا هنا بصدد توضيح معالمها ، وإنما علينا أن نشير إلى تلامذتها وحملة مشعلها . وستجد أن الأستاذ الزيات وإن كان كاتبا فحسب قد أثر في شعراء كثيرين .

فمن كتاب هذه المدرسة مع تفاوت في القوى والقرب أو البعد عن الأصل : الأساتذة الأفاضل : صلاح الدين المنجد ، وشكري فيصل ، ودريني خشبة ، ومحمد فهمي عبد اللطيف ، ومحمد مجد الدني ، وعبد الرحمن عيسى ، ومحمود عزت عرفة .

أما الشعراء الذين تلمح أثر الزيات فيهم فيمتاز كل منهم بأنه ملك القدرة على الكتابة نثراً وصينا وشعراً قوى السبك حلو الرنين ، وفي مقدمتهم الأساتذة : علي محمود طه وعبد الغني حسن ومحمود الخفيف وحسين محمود البشبيشي وأنور العطار ومحمود السيد شعبان . وكل منهم يحتل مكانا عاليا في الخلود الأدبي مع اختلاف في المزاج والاتجاه سنعرض له أخيراً عند الكلام عن مدارس الرسالة الشعرية .

مدرسة الرافعي

كون الرافعي رحمه الله مدرسة كبيرة ، ولكنها في الحقيقة لم تنجح كل النجاح في تقليده تقليداً كاملاً ، وإن كانت قد أحبت نهجه ودافعت عنه وألف بعضهم فيه كتابا قيما . ولعل صعوبة التقليد للرافعي ناشئة عن خياله الخارق للعادة ودرايته العجيبة بكل شاردة أو واردة في اللغة والأدب . ومن تلامذة هذه المدرسة من لم يتأثر إلا بها ، ومنهم الأساتذة الأجلاء سعيد العريان ، وعلي الطنطاوي، ومحمود محمد شاكر. ولعل أقرب الشعراء إلى هذه المدرسة هو محمود حسن اسماعيل ، ولكنا قد نلمح للرافعي أثراً في بعض الشعراء وسنعرض لذلك بعد الكلام عن مدرسة العقاد

مدرسة العقاد

أما العقاد فله مدرسته وله شخصيته ، وهي الآن أشد أثرا ، ولم ينجح كل تلاميذه في تقليده وإن نهجوا نهجه في طريق البحث والتفكير ووسائل التقسيم والتفسير . ولقد برز منهم أساتذة أفاضل في مقدمتهم الأساتذة : سيد قطب ، وعلي أدهم ، والزحلاوي ، والجبلاوي . وممن تأثروا به في الشعر غير سيد قطب والجبلاوي مخيمر والحلاوي والعوضي الوكيل وخاصة في بدء نشأتهم

وهناك مدرسة شعرية بين المدارس الثلاث : وهم شعراء جمعوا بين قوة الديباجة ورقة الموسيقى من الأستاذ الزيات . وقوة الخيال الشعري من المرحوم الرافعي . وملكوا العمق التأملي في الخفايا الوجدانية من الأستاذ العقاد ، وأغلب هذه المدرسة من الشباب وفي مقدمتهم الأستاذ محمود اسماعيل والأستاذ سيد قطب والاستاذ حسين البشبيشي والأستاذ عبد الرحمن الخميسي ، وفي هؤلاء صوفية حبيبة وروح فني وضاء

أما الأساتذة : الوكيل والعجمي وشعبان وعبدالغني حسن وزكي مبارك ففي شعرهم قوة ديباجة وموسيقية ولكنهم يلمسون المعاني بهوادة .

مدرسة الأعلام الثقاة

ولعلها كلها من شيوخ الرسالة الأمجاد . وإن كل عالم منها لأشهر من أن يعرف في الأقطار العربية ، بل إن آراءهم وأقوالهم وتحقيقاتهم الأدبية واللغوية لتحمل القول الفصل ، وهم الأساتذة الأجلاء العلماء اسعاف النشاشيبي والأب أنستاس وأحمد العوامري ومحمود البشبيشي والزيات والمبارك ، وهؤلاء ينظر إليهم كقادة يحافظون على اللغة فوق قيادتهم للأدب .

وبعد فهذه كلمة موجزة تحتاج الى تفصيل . دكتور

سيد حنفي

شهيـــد كربلاء !

[بقية المنشور فى العدد الماضى]

للأستاذ محمود الخفيف

وَيَوْمٍ من الدَّمِ إصباحُهُ   عَلَى الأُفْقِ ذائبُهُ الأحْمَرُ
به صُوَرُ الهَوْلِ قبل الوقوع   كأنَّ السماءَ بها تُنْذِرُ
كأنَّ الرَّدى شَبَحٌ ماثِلٌ   إليـــه قلوبُهُمُ تَنْظُرُ
من الحَرِّ تُشْوَى الوجوهُ ضُحًى   كأنَّ الجحيمَ به تَزْفِرُ

بمَيْمَنَةِ الصَّفِّ قامَ زُهَيْرٌ (١)   وقامَ حبيبٌ (٢) على المَيْسَرَه
تَهَلَّلَ فى كُلِّ نَفْسٍ يقينٌ   تُلاقى به الموتَ مستبشِرَه
وكَمْ مِنْ كَمِيٍّ ترى وَجْهَهُ   تُبْصِرُ فى وجهِهِ قَسْوَرَه
مِنَ الجِدِّ تَعْبَسُ تلك الوجوهُ   ومِمَّا ارْتَضَتْهُ تُرَى مُسْفِرَه

وهذا الحُسَيْنُ فتى هاشِمٍ   بقَبْضَتِهِ سيفُهُ مُنْتَضَى
تلألأ فى الصفِّ وجهُ الحُسَيْن   كصارِمِهِ العَضْبِ إذْ أَوْمَضا
تخايَلُ فى وجهِهِ مِنْ أبيهِ   عَلِيٍّ إمامِ الهُدَى المُرْتَضَى
يُسَوِّى الكُماةَ ويدعو الرُّماةَ   ويخضَعُ لله فيما قضى

به غُلَّةٌ والفُراتُ الدَّفوقُ   عَلَى قابِ قَوْسَيْنِ أو أقْرَبُ
تلألأ شمسُ الضحى ماءَهُ   فلألاؤه للحشا مُلْهِبُ
وقد أضرَمَ الحَرُّ أنفاسَهُ   ونارُ الوغى حولَهُ تَصْخَبُ
يَظَلُّ عَلَى قَرْنِ شيطانِها   نذيرٌ بأهوالها يَنْعَبُ

أبوه عَلَى الحوضِ يسقى العِطاشَ   إذا الحشرُ عَجَّ بهم واضطرَمْ
فيا وَيْحَهُمْ يمنعون الحُسَيْنَ   مِنَ الماءِ وهْوَ لديهم عَمَمْ
وكم بَلَّ غُلَّةَ ذى غُلَّةٍ   حُسَيْنٌ وكم كانَ عَيْنَ الكَرَمْ
حَيًا فى الجدوبِ سنًى فى القطوبِ   حِمًى فى الخطوبِ غِنًى فى العَدَمْ

يُعالِجُ كُلُّ فتًى سيفَهُ   وقد شَهِدَ الأكثرينَ نِفارا
تَنادَوْا وقد أحْدَقوا بالظِّماء   إذا التَفَتوا يَمْنَةً أو يَسارا
وكم ظامِئٍ بينَ تلكَ الخيامِ   إلى الرَّوْعِ هَزَّ الحُسامَ اضطِرارا
ليفيءَ إلى الماءِ وهْوَ الذى   بكُلِّ وغًى مَنْ يُطيقُ اصْطِبارا!!

عَلَى فَرَسٍ زافِرٍ باللهيبِ   دعاهُمْ وفى يدِهِ مُصْحَفُ
أصيخوا فإنّى لكُمْ مُنْذِرٌ   ألم يأنِ يا قومُ أنْ تُنصِفوا
لئن كانَ سَفْكُ دمى هَمَّكُمْ   فأعفوا العِطاشَ هُنا وارأفوا
أمامكمُ الظمأُ المستحِرُّ   ضُحى الحشرِ إذ يعظُمُ الموقفُ

ألَسْتُ ابنَ فاطمةٍ ويحكم   أجيبوا ألَسْتُ ابنَ بنتِ النبى ؟
أفيقوا أتنسَوْنَ أنَّ أبى   عَلِيٌّ وحمزةَ عَمُّ أبى ؟
وجعفرُ (١) مَنْ كانَ يُدعى بذى الجَـ
ـناحَيْنِ عمّى فتى يَعرُبِ ؟
حذارِ لكمْ أنْ تُريقوا دمى   فساءَ لكُمْ ذاكَ مِنْ مَطْلَبِ

وشقَّ الفضاءَ صُراخُ النساءِ   فآنَ لِقُرْبِ المصابِ الجَلَلْ
لقد أحدقَتْ قارعاتُ الخطوبِ   فما مَسَّهُ وَهَنٌ أو وَجَلْ
تعاظَمَهُ أمرُ هذا الصراخِ   فأدَّ مِنَ الحزنِ ذاكَ الجَبَلْ
تخاذلَ عزمٌ له صارِمٌ   وخارَ ... فوارحمتا للبَطَلْ !

وعادَ الحُسينُ ينادى العدوَّ   أثأرٌ دعاكم لهذا العِداء ؟
كرِهْتُ لكم أنْ تشُدّوا علينا   جُموعًا ، وأنْ تبطشوا بالنساء
لئن كانَ بينى وبينَ امرئٍ   دمٌ فليُجِبْ بعدَ هذا النداء
عجِبْتُ ! ألم يدعُنى قومُكُمْ   إليهمْ ففيمَ أسأتُمْ لقائى ؟

وقالَ له قائلٌ منهمو   إذا رُمْتَ أمنًا فبايِعْ يَزيدا
مقالةَ مُستهزِئٍ شامِتٍ   يُمَنِّى بوعدٍ ويُخفى وعيدا
وردَّ الحسينُ : أباتَ الكرامُ   بنو هاشمٍ صاغرين عبيدا ؟
دعوتُ ولكنْ أراكم ضلَلْتُم   بما تطلبون ضلالًا بعيدا

تداعَوْا إلى الطَّعْنِ لكنّما   تخلّفَ عن جمعِهِمْ باسِلُ

(١) زهير بن القين .   (٢) حبيب بن المطهر

(١) جعفر بن أبى طالب قطعت ذراعاه فى غزوة مؤته فبشره الرسول بأن سيبدله الله بهما جناحين فى الجنة

مَشى فى ثلاثينَ مِنْ جُندِهِ ... أماثِلُ ما فيهمُو ناكِلُ
فوارسُ خَبّتْ بهم خيلهمْ ... وفيهم أخو الرُّمحِ والنّابِلُ
أصاخوا لِقَوْلِ الحسين كما ... يُفيقُ مِنَ الغَفلةِ الغافِلُ

هُوَ الحُرُّ ثارتْ به نخوةٌ ... فهزّ بها بعض فُرسانِهِ
فأقبل مُعتذراً للحسين ... ومِنْ حَوْلِهِ خَيرُ أقرانِهِ
يقولُ بَرِىءٌ أنا من يزيدَ ... وآل يزيدَ وأعوانِهِ
تجبّرَ شَيطانُهُ ابن زيادٍ ... نُسْحقاً له ولشيطانِهِ

وصاح: ألا يا خُصُومَ الحسينِ ... لأُمِّكُمُو يا لِئامُ الهَبَلْ
أهذا الفراتُ حرامٌ عليهِ ... حَلالٌ لِكلِّ لئيمٍ نَزَلْ؟
تَعُبُّ الخنازيرُ منه وما ... يُرى نابِحٌ غَلَّ إلاّ نَهَلْ
وتَنْهَلُ منه سِباعُ الفَلا ... ويصرعُ آلَ الحسينِ الغَلَلْ؟

لك الويلُ يابن زيادٍ ويا ســوء ما أنتَ ماضٍ له يا عُمَرْ.[1]
غداً يابن ذى الجوشن أصلَ الجحيمَ
فأنتَ وقــودٌ لها يا شمِرْ.[2]
حلفتُ لأقتحِمَنّ الحتوفَ ... وما كنتُ فيها امرءاً ذا خَوَرْ
فإنْ أنا مِتُّ فداءَ الحسينِ ... ففى جنةٍ مَقعَدى ونَهَرْ

وغيظ العَدُوُّ فَشَدّوا صفوفاً ... ففى زحفهمْ غِلظةٌ واحتِدامُ
فوا عجباً زلزلتْ جَمْعَهُمْ ... مِنَ القِلّةِ الظامئينَ سِهامُ
وشاءوا مُبارزةً فانبرى ... لهم مِنْ فريق الحسين عِصامُ
فجندلَ مِنْ جمعهم فارسَيْنِ ... وفى السيفِ والقلبِ منهم ضِرامُ

وطالتْ مُبارزةٌ بينهمْ ... فَكَرّاتُهُمْ كلها خاسِرَهْ
فما التقتِ الخيلُ إلاّ جرَتْ ... بفُرسانها خيلهم نافِرَهْ
كأنّ الحسينَ وأصحابهُ ... ضَراغِمُ مُهتاجَةٌ زائِرَهْ
كِرامٌ عَلَى قِلّةٍ صابرونَ ... بدُنياهُمُو اشتروا الآخِرَه

وخافَ المبارَزَةَ الأكثرونَ ... فَشَدّوا على الظامِئينَ صُفُوفا
فكمْ كرّةٍ ردّها صفُّهُمْ ... وما وهَنوا حينَ خاضوا الحتوفا
وظلّ الحسينُ بهمْ داعياً ... عطوفاً على المنهكينَ رؤوفا

وحسبهمو ما بهمْ مِن أُوامٍ ... فكيفَ وَهُمْ يَذفَعُونَ الألوفا
فَواجِعُ تَغْشَى صَميمَ الفؤادِ ... وللدّمِ رائِحَــةٌ تُنْشَقُ
وأوّلُ ما خَرَّ منهمْ شهيدٌ ... وَجَمْعُ العَدُوِّ بِهِمْ مُحْدِقُ
دَعَا للحُسَيْنِ وأوْصَى بِهِ ... وَجَفْنَيْهِ كَفُّ الرّدى تُطْبِقُ
وَبَشّرهُ صَحْبُــهُ بالنّعيمِ ... فَهَشّ لهُمْ وَجْهُهُ المُشْرِقُ

بِمَيْسَرَةِ الجيشِ شَدّ الدّعِىُّ ابْــنُ ذى الجوشنِ المستطيلُ الأثيمُ
دَنَتْ خَيْلُه مِنْ مَكانِ الحُسَيْنِ ... فآذاهُ لولا كِفاحٌ عظيمُ
وَزُخْرِجَ بَعْدَ اقْتِتالٍ مَرِيرٍ ... ودونَ الحُسَيْنِ جِهادٌ صَريمُ
تكاتَلَ مِنْ حَوْلِهِ الذائدونَ ... فَخَيْلٌ تَشُدُّ وَخَيْلٌ تَحُومُ

طغَى وتمادى ابن ذى الجوشنِ ... فَكُلُّ حِمَى عِنْدَهُ مُسْتَباحُ
تَصَدّى لِيَحْرِقَ تِلْكَ الخِيامَ ... وَكَمْ مَلأَ السَّمْعَ مِنْها نُواحُ
وَكَمْ قَدّ بالرُّمْحِ من خَيْمَةٍ ... وَمِنْ حَوْلِهِ مُشْرَعاتٌ رِماحُ
ولولا فَتَى عيّرَ ابنَ الدّعِىّ ... لما عَفّ وهو السّفيهُ الوَقاحُ

دَعَا بالرُّماةِ فَخَفّتْ إليْــهِ ... مِئاتٌ غِلاظٌ تَشُدُّ القِسِيّا
بها عقرُوا خَيْلَ صَحْبِ الحُسَيْنِ ... فلَمْ يذروا دانِياً أوْ قَصِيّا
هَوَى الحُرُّ مُرْتَجِزاً هاتِفاً ... أنا الحُرُّ ما كُنْتُ إلا الأبِيّا
فإن تعقروا فرسى لن أذِلّ ... سأقتُلُ دُونَ الحُسَيْنِ رَضِيّا

وَشَدّ زُهَــيْرٌ وَجُنّ القِتالُ ... وَزُلْزِلَتِ الأرْضُ زِلْزالَها
وأومَضَتِ البيضُ تَحْتَ الغُبارِ ... وردّدَتِ الخَيْــلُ تَصْهالَها
تَهَزّأ كُلُّ فَتًى بالحتوفِ ... نخاضَ هُنالِكَ أهْوالَها
وَرَدّ الأثيمُ عَلَى رَغْمِــهِ ... وَقَدْ هاجَتِ الحَرْبُ أبْطالَها

وكَرّ حبيبٌ على الأكثرينَ ... وكَرّ أباةٌ شِــدادٌ مَعَهْ
فقاتَلَ فِيهِمْ إلى أنْ رَماهُ ... عَــدُوٌّ بِسَهْمٍ لَهُ أوْقَعَهْ
وَهَبّ فعاجَـــلَهُ آخَرُ ... بِسَيْفٍ فأوْرَدَهُ مَصْرَعَهْ
وكَمْ هَدّ هذا المصابُ الحُسَيْنَ ... وأسْبَلَ مِنْ حَزَنٍ أدْمُعَهْ

يقول: لقدْ جَلّ فيه المصابُ ... فنفسى مِنْ ساعَتِى أحْتَسِبْ
وَشَقّ على الحُرِّ قَوْلُ الحُسَيْنِ ... وهَيّجَهُ دَمْعُــهُ المُنْسَكِبْ
فأقبَــلَ مُرْتَجِزاً مُنْشِداً ... سألقى الرّدى عَنْكَ إذْ يَقْتَرِبْ
وأضْرِبُ دونَكَ لا أسْتَطارُ ... ولا أسْتَكينُ ولا أنْقَلِبْ

(١) عمر بن سعد بن أبى وقاص أرسله ابن زياد على رأس الجيش.
(٢) شمر بن ذى الجوشن كان على ميسرة العدو شديد الخصومة للحسين.

وَمَا لَبِثَ الحُرُّ إلا قليلا   يخوض الحتوفَ وَيَسْتَذِلُ
فَتَخْبِلُ مُحْمَحِمُ مُرْتَدَّةَ   وَأُخرى تَصَدَّى له تَصْهَلُ
وَقَدْ شَدَّ جَمْعٌ كَبِيرٌ عَلَيْهِ   ودارَ بِهِ وَهْوَ مُسْتَبْسِلُ
هَوَى جَسَداً لا حراكَ بِهِ   يُعَمِّمُهُ الدَّمُ والقَسْطَلُ

وَجَاهَدَ فِيهِمْ زُهَيْرٌ وَشَدَّ   فكانَ القَوِيَّ الجليدَ الفَتِيَّا
يقول : فَدَيْتُكَ أَقْدِمْ حُسَيْنُ   غَداً تَلْقَ جَدَّكَ طهَ النبِيَّا
وتَلْقَ أَبَاكَ الإمامَ الوَصِيَّ الـ   ـتَقِيَّ النَّقِيَّ النَّجِيدَ عَلِيَّا
وَسِبْطَ الرَّسُولِ أخاكَ وذا الـ   ـجناحَيْنِ زينَ الشَّبَابِ الكَمِيَّا

فما زَالَ يَضْرِبُ دونَ الحُسَيْنِ
وَمُذْ خاضَ هَوْلَ الوغى ما استراحا
تحدى الحتوفَ وَقَدَّ الصفوفَ   وردَّ السيوفَ وَصَدَّ الرِّماحا
أحاط بِهِ مُثْخَناً فارسانِ   فما كانَ إلاَّ أَشَدَّ كِفاحا
وما ماتَ حتى بدا عاجزاً   مِنَ النَّزْفِ عَنْ أَنْ يَهُزَّ السِّلاحا

تفانَى الرِّجَالُ وَقَلَّ النَّصِيرُ   فما لِلْمُكَاثِرِ لَمْ يَرْجِعِ ؟
وليسوا وإنْ خَرَّ مِنْهُمْ كثيرٌ   يُحِسُّونَ بالنَّقْصِ في موضعِ
وَيَشْعُرُ بالنقصِ جُنْدُ الحُسَيْنِ   إذا ما شَهِيدٌ إليهِ نُعِي
ألا كَمْ تَهَاوَوْا لديهِ تِباعاً   وفي الجوْ وَقْدٌ وَفي الأضلُعِ

بَقِيَّتُهُمْ حـوله يَدْفَعُونَ   مُشَاةً فما فيهمو فارسُ
وماتوا لديهِ فُرادى ومَثْنى   وَكُلٌّ لِفُسْطَاطِهِ حارِسُ
تَكاثَرَ صَوْبَ الحُسَيْنِ العَدُوُّ   إلى أَنْ تَصَدَّى لَهُمْ عَابِسُ[1]
فذاقَ الرَّدى زاحِفاً وَحْدَهُ   وكلُّ فَتًى باسْمِهِ هَامِسُ

يَدُ الموتِ لم تُبْقِ مِنْ صَحْبِهِ   كَمِيًّا ، وهَوْلُ الوغى فاجِعُ
تَقَدَّمَ إِخْوَتُهُ يدفعون   وما للقضا منهمو دافِعُ
وأبناءُ أعمامِهِ حُوَّمٌ   يذودون وَهْوَ لهم دامِعُ
يلاقون بين يديه المنونَ   أُبَاةً فما فيهمو جازِعُ

فواحسرتا كم رمى الباطشون   من الأفرُعِ الشُّمِّ من هاشمِ
وَوَالَهْفَتَا إذ ينادي عليٌّ   أبي ! وهو بينَ يدَيْ غاشِمِ
فيَسْعى إليه أبوه الحُسَيْنُ   وليس من الموتِ من عاصِمِ

وَتَصْرُخُ زَيْنَبُ : يابْنَ أخي   وتحنو على البَطَلِ النائِمِ
بكيتُ لأَفْرُدُ جَرِّ الحُسَامَ   وَحِيداً يُدَافِعُ عن عَمِّهِ
غُلامٌ كما اعتدلَ السَّمْهَرِيُّ   وَعَزْمُ المُهَنَّدِ مِنْ عَزْمِهِ
فَتًى دِرْعُهُ البأسُ لَمْ يَدَّرِعْ   بغيرِ الإزارِ على جِسْمِهِ
هو القاسِمُ ابنُ أخيهِ الإمامِ   بَقِيَّةُ مَنْ خَرَّ مِنْ قومِهِ

فيا هَوْلَ مَصْرَعِهِ إذ أحاطت   بِهِ الخيلُ وَهْوَ لها صامِدُ
فيهتف : عماه ! مُسْتَصْرِخاً   وَيَهْوِي وَقَدْ شَجَّهُ مارِدُ
بِرِجْلَيْهِ يَفْحَصُ مِمَّا بِهِ   وَبَيْنَ العِدا عَمُّهُ جاهِدُ
على صدرِهِ احتمل ابنَ أخيه   ولكنَّهُ جَسَدٌ هامِدُ

وأعيا على باب فُسْطاطِهِ   يَضُمُّ صبيًّا إلى صَدْرِهِ
فبينا يَشُمُّ الحُسَيْنُ ابْنَهُ   وَيُوصِي بِهِ وَهْوَ في حِجْرِهِ
بِسَهْمٍ تَصَيَّدَهُ قانِصٌ   فَفارَ بِهِ الدَّمُ من نَحْرِهِ
تلقى دم الطِّفْلِ مُسْتَسْلِماً   لما قَدَّرَ اللهُ مِنْ أَمْرِهِ

وجاءت له امرأةٌ خِلْسَةً   بماءٍ وَهُمْ حَوْلَهُ حُوَّمُ
فما كادَ يَشْرَبُ حتى رَماه   بِسَهْمٍ أخو خِسَّةٍ مُجْرِمُ
أصابَ بِهِ الوغدُ شِدْقَ الحُسَيْنِ   ففار على الماءِ مِنْهُ الدَّمُ
دَعَا رَبَّهُ : رَبِّ خُذْ ظالِمِيَّ   فأنْتَ بما ظَلَمُوا أَعْلَمُ

أَلَحَّتْ على البطل النائباتُ   فمن لوحيدٍ ذوى ... مَنْ له ؟
تَوَقَّدَ من ظَمَأٍ جَوْفُهُ   وأصحابه رِمَمٌ حَوْلَهُ
وَجَمْعُ العَدُوِّ محيطٌ بِهِ   وإنْ خافَ كلُّ امرئٍ قَتْلَهُ
تَهَيَّبَ أَنْ يقتُلُوا ابنَ النبيِّ   شياطينُ كم بطشوا قَبْلَهُ

وظَلَّ يُحَرِّضُ أصحابَهُ   أضلُّ العدا شِمْرُ الفاجِرُ
وهوَّنَ قَتْلَ الحسينِ فشدُّوا   عليه وليس لهم زاجِرُ
فَوَثَبَ وَصَمْصَامُهُ مُصْلَتٌ   كما وثَبَ الضَّيْغَمُ الثائِرُ
فكَمْ كَرَّةٍ هدَّها بأسُهُ   وزلزلها عَزْمُهُ الصابِرُ

ألحُّوا على البطل المستميت   فشدُّوا شمالاً وشدُّوا يمينا
يقوم ويكبو وهم يضربون   وتأبى عريكتُهُ أن تلينا
إلى أن هوى مثخناً بالجراح   على وجهه سِمَةُ الصابرينا

الخفيف

---

(١) عابس بن شبيب وكان أشجع الناس



نون النسوة

[قالوا إن النساء قررن فى مؤتمرهن الذى انعقد فى القاهرة منذ قليل المطالبة بحذف نون النسوة من اللغة تحقيقاً لمساواتهن بالرجال ، فنظم الدكتور عزيز فهمى هذه الأبيات فى ذلك] :

هَلاَّ أتاكَ حَديثُهُنَّه ؟   النُّونُ ليستْ نُونَهُنَّه
هـــذا القرارُ وثيقةٌ   أفصِحْ وذَكِّرْ جَمْعَهُنَّه
النّونُ تَخْدِشُ سَمْعَهُـــنَّ . وما أرقَّ شُعورَهُنَّه !
ظلمَ الرجالُ نساءهم   ما للرِّجالِ وما لَهُنَّه ؟
النونُ فَرْضُ كِفايةٍ   يكفى النساءَ فُروضُهُنَّه
والميمُ أحْسَمُ للخِلا   فِ فلا تُثيروا كَيْدَهُنَّه
بَرِىءَ النّساءُ مِنَ الأُنو   ثَةِ مُذْ مَلَكْنَ قِيادَهُنَّه
عِفْنَ الخِباءَ وما الحيا   ةُ إذا لَزِمْنَ خُدورَهُنَّه ؟
عِبْءُ الأمومةِ فادِحٌ   حَسْبُ العَقائِلِ حَمْلُهُنَّه
حَسْبُ العقائلِ ما احْتَمَلْـــنَ وما حَمَلْنَ مِنَ الأجِنَّه
ما للغوانى والرَّضا   عَةِ ؟ إنَّ هذا الفرضَ سُنَّه
فإذا صَدَقْنَ فلا جُنا   حَ وإنْ عَطَفْنَ فتلكَ مِنَّه
رُفِعَ النِّقابُ فلا نِقا   بَ لَهُنَّ غَيْرَ حَيائِهِنَّه
أَسَرَ الرِّجالُ نساءهمْ   حتى استحالَ إسارُهُنَّه
وطَوى الخليلُ على الخلا   ئِلِ واستباحَ حَرِيمَهُنَّه
عَقَدَ الوثاقَ فما شَكَيْـــنَ ولا بَرِمْنَ بحالِهِنَّه
ومَكَرْنَ مَكْرَ خديعةٍ   وجَذَبْنَ مِنْ يَدِهِ الأعِنَّه
الطيرُ راشَ جَناحَهُ   قَدَرٌ يُنيرُ لهُ الدُّجُنَّه
وتَمَرَّدَ الحَمَلُ الوديـــعُ على الذئابِ المُطْمَئِنَّه !

عزيز فهمى

الرصافى وأبو حنيفة

كتب الأديب راشد سليمان تحت هذا العنوان فى عدد ٥٩٨ من الرسالة ينكر على الرصافى قوله إن أبا حنيفة يجيز قراءة القرآن بالفارسية فى الصلاة ، ويطلب منه نصاً يؤيد ما قاله وأنا أتطوع بذكر هذا النص فأقول : فى كتاب التلويح والتوضيح لصدر الشريعة ، بعد كلام طويل فى باب تقسيم اللفظ بالنسبة للمعنى « وقد روى عن أبى حنيفة أنه لم يجعل النظم لازماً فى جواز الصلاة خاصة ، بل اعتبر المعنى فقط حتى لو قرأ بغير العربية فى الصلاة من غير عذر جازت الصلاة عنده ، وإنما قال خاصة لأنه جعله لازماً فى غير جواز الصلاة لقراءة الجنب والحائض حتى لو قرأ آية بالفارسية يجوز لأنه ليس بقرآن لعدم النظم » .

وفى بحث فى ترجمة القرآن للامام المراغى شيخ الجامع الأزهر : « قال الصدر الشهير فى شرح الجامع الصغير : وهذا تنصيص على أن من يقرأ القرآن بالفارسية لا تفسد صلاته بالاجماع » . وقال شارح الهداية : « والخلاف فى الاعتداد ولا خلاف فى أنه لا فساد » . وقال الزيلعى فى شرح الكنز : « ولا خلاف فى الفساد حتى إذا قرأ معه بالعربية قدر ما تجوز به الصلاة جازت صلاته » . وقال أبو اليسر : « والجواز عند العجز بالفارسية نص على أن القرآن بها لا تفسد الصلاة إنما الشأن فى جواز الصلاة بها « كذا فى جامع قاضيخان » .

وقد تبين من هذا أن أبا حنيفة يجوز قراءة القرآن بالفارسية فى الصلاة ولو بغير عذر . وأما الصاحبان فلا يجوزانها إلا إذا عجز عن العربية لأن القرآن اسم لمنظوم عربى لقوله تعالى : « إنا جعلناه قرآناً عربياً » والمراد نظمه . ودليل أبى حنيفة قوله تعالى : « وإنه لفى زبر الأولين » ولم يكن فيها بهذه اللغة ، وقوله تعالى : « إن هذا لفى الصحف الأولى ، صحف ابراهيم وموسى » وصحف ابراهيم كانت بالسريانية ، وصحف موسى بالعبرانية فدل على كون ذلك قرآناً .

عبد الفضيل يوسف وجيه

الأستاذ النشاشيبي

عاد إلى مجلسه في (الكنتنتال) أديب العربية وخاتمة أدبائها المحققين الأستاذ إسعاف النشاشيبي . ومجلسه حيث كان متعة للعقل والقلب واللسان : فيه سلاقة النديم ، وريحان اللبيب ، ونُقل الأديب ، ونوادر اللغوي ، وطرف المؤرخ . وقد زار الأستاذ النشاشيبي دمشق في مهرجان المعري ونزل بأربان بالاس فنزل معه الفضل والعلم وما يصحبهما من كل أولئك . وحضر مجلسه فيه الأستاذ صلاح الدين المنجد فقال يصفه :

« هذا الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي ! إنه نسيج وحده في كل شيء : في أسلوبه المتين ، وفي حديثه المبين ، وفي إلقائه النادر ، وفي سعة علمه ، وكثيرة محفوظه . فلا يشابهه أحد ، ولا يجاريه أحد

كانت حلقته في الأربان بالاس مهوى نفوس الذين يتذوقون الفصاحة ، ويرغبون في سماع محاسن العربية . ينفض أناس ، ويقبل أناس ، وهو لا يمل ، يسمعهم من طريف أدبه ، ويروى ظمأهم من روائع علمه ، ويأسرهم بتهذيبه وتواضعه

قابلته بعد عودته ، أسأله عن صحته ، آملاً ألا تكون هذه الرحلة الطويلة المتعبة المستعجلة قد أضرت به ، فأجابني فرحاً :

— لقد كشفت سراً ... في معرة النعمان !

— سر ؟

— نعم ، سر عظيم ... ما كنا نفطن إليه لولا أن رأينا بلدة أبي العلاء

— وما هذا السر ؟

— كان أبو العلاء منقطعاً عن أكل اللحم ، وكان يمن علينا بذلك ، فلما رأيت أن في المعرة التين ، التين الحلو ، المشوب بالعسل المعق ، الكبير الحجم ، وإن فيها العدس المغذى ، اللذيذ المفيد ، قلت : ما اللحم أمام تين المعرة وعدسها ؟ أما لو كان لي معدة قوية كمعدة أبي العلاء ، وكنت في المعرة ، آكل من تينها وأطعم من عدسها ، إذن لآليت ألا أذوق ما حييت لحماً ... !

فلا يمن علينا أبو العلاء ... فقد كشفنا السر ... !

ثم أطرق وقال :

الحق أن أبا العلاء شيء عظيم . لقد أحب الحياة ، وود لو عاش ألفاً من السنين . وكان متفائلاً كأعظم المتفائلين . وكان يكره الموت إلا موت الأبطال الخالدين . وكان مجنوناً ... جن بالقرآن وجن باللغة العربية ، فعرف من شواردها ، وفصيحها ، وصرفها ، ونحوها ، وشعرها ، ما لم يعرفه أحد . ورأت هي حبه ، فأطاعته وانقادت له ، فلكها وأكثر من ترداد محاسنها ، لأنه يحبها ... »

« جماعة نشر الثقافة الإسلامية » بكلية الآداب

تكونت بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول « جماعة نشر الثقافة الإسلامية » تحت رئاسة شرف الأستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام . وغرض الجماعة تبيين ملامح الحضارة الإسلامية على أسس علمية وإظهار نواحيها الأدبية والعلمية والفنية ودراسة التاريخ الإسلامي على أسس منهجية تحليلية جديدة ، والعمل على صوغ التراث العلمي الإسلامي في قالب جديد يتمشى مع العلم الحديث ومقتضيات النهضة المعاصرة .

وقد وضعت الجماعة منهاجاً يحقق لها هذه الخطوات ، وذلك بأن نظمت سلسلة من المحاضرات يلقيها بالكلية كبار المشتغلين بالفكرة الإسلامية . وستقوم لجان من أعضاء الجماعة وممن يريدون أن يشاركوها في هذا العمل بإنشاء بحوث إسلامية تنشرها باللغة العربية وباللغات الأوربية الحية ؛ وتقوم كذلك بتعريب البحوث التي كتبت عن الإسلام بلغات غير عربية حتى يتكون لدينا من هذا كله فكرة صحيحة عن الإسلام وحتى ترتسم صورته أمامنا غير مشوهة .

وستقوم الجماعة إن شاء الله بإذاعة محاضراتها وبحوثها في نشرات خاصة تتعدد بتعدد نواحي الحضارة الإسلامية فسيكون ثمة مثلا نشرة علمية وأخرى أدبية ... وهكذا .

وتبدأ الجماعة نشاطها بإذن الله خلال النصف الثاني من محرم سنة ١٣٦٤ راجية من الله التوفيق والتأييد .

عن الجماعة

محمد على الليثي

إلى الدكتور زكي مبارك

هل يتفضل أستاذنا الفاضل الدكتور زكي مبارك ويشرح لنا مايريد أن يقول في قصيدته « غرام يوم الثلاثاء » المنشورة بالعدد الأسبق من الرسالة ؟ وإذا أحسن الدكتور بذلك فليكن شرحه في غير الرسالة ؛ لأني أخشى يحيزها الضيق عن أن يتسع لشرح المراد من مثل قوله :

عهد الهوى البكر هل تنساه يا هاجر
عهد الهوى البكر هل تنساه يا غادر
عهد الهوى البكر هل تنساه يا قاهر
عهد الهوى البكر هل تنساه يا كافر
يا هاجر ، يا غادر ، يا قاهر ، يا كافر

إسكندرية — محمد محمد يوسف

(الرسالة) : تلقينا تبع رسائل عن (غرام يوم الثلاثاء) أخصرها وأخفها هذه الرسالة . وقد قسا حضرات الكاتبين في النقد واشتدوا في الخطاب حتى رمونا بالاساءة إلى الرسالة وإلى الدكتور بنشر هذه القصيدة . ولا أدري كيف نسوا أن الدكتور المبارك من مؤرخي الأدب ، ومن رجال النقد ، ومن كهنة القريض ؟ فلم لا يكون ذوقه توجيهاً للأذواق ، وشعره تجديداً في الشعر ؟ وهو بعد ذلك عاشق معمود من حقه أن يئن كيف يشاء .

أساطير شرقية

يعجبني الأدب الذي يطبعه أصحابه بطوابع بلادهم ، ويلبسونه حللاً من نسج أرضهم أو يتسقطون أخباره ، فما كان منها لصيقاً بهم عطفوا فنونهم عليه ، وحنوا بآثارهم إليه . كذلك سرني أن أقرأ الأساطير الشرقية التي ألفها ورواها الأستاذ كرم البستاني وأخرجتها دار المكشوف في بيروت . وللأستاذ كرم ولع قديم بهذه الطرف يحسن عرضها ويجلي في سردها ، ويعدها للقراء مثل طنفسة ثمينة طرزتها يد صناع ، وكنت وأنا أقرأ هذه الأساطير أحس بشرقيتي ويتملكني العجب للأمم التي تعاورت على الشرق في قديم عهوده وكانت هذه الأساطير سفرها وأدبها .

تمتاز أساطير الأستاذ كرم بهذه الشرقية الصافية التي ألقت قدميها على شواطىء لبنان أيام الفينيقيين مثل حسناء بحرية ، وداعب شعرها نسيم لبنان العليل ، وشاقها الغرب بملاحته وسحره فأحبت بلاد اليونان ودعتها السياحة والمغامرة إلى زيارتها والبقاء فيها .

فعلى أساطير البستاني جمال الشرق وملاحة الغرب كأسطورة قدموس وأخته أوربا ؛ فأم هذين الشقيقين حورية الماء (صور) ، وصور مدينة شرقية عتيقة ما تزال إلى اليوم عليها غلائل الأساطير الفينيقية . ثم انظر كيف تمر هذه الأسطورة من مصنع الشرق إلى سوق الغرب متخذة فنّ راويها كبساط الريح . فإن جمال أوربا أخت قدموس قد استلب لب جوبيتر الشيخ الذي يلوب على جمال بنات الأرض فيهبط عليهن يفترفهن مثل نسر كاسر ينقض على عصفور . فيرى في حقول صور أوربا ترعى الثيران فيرسل إليها أحد بنيه يختطفها إليه ليسبيها فيهب أخوها يبحث عنها في الأمصار حتى يصل إلى اليونان وتجرى له ثمة حوادث تنسيه أخته وتذهله عن نفسه .

وهذه الأساطير جرى كاتبها فيها على طريقة علمية أكثر مما يجري على طريقة فنّ وأدب ، فقد تحرّى فيها المصادر ، ودرس آثار الكاتبين عنها قبله في الآداب القديمة والحديثة ، وألزمته هذه الطريقة أن يشرح ألفاظاً ويحقق تواريخ تتعلق بالميثولوجيا . والعجب لحوادث أوردها بعضها محقق في الوجود وبعض ورد ذكره وحوادثه في الكتب المقدسة فرواها الأستاذ البستاني على أنها أساطير في أساطير .

وليس في وسع التحقيق الأدبي وإن شاء الإطراف أن يميل إلى هذا التسامح .

زكي المحاسني